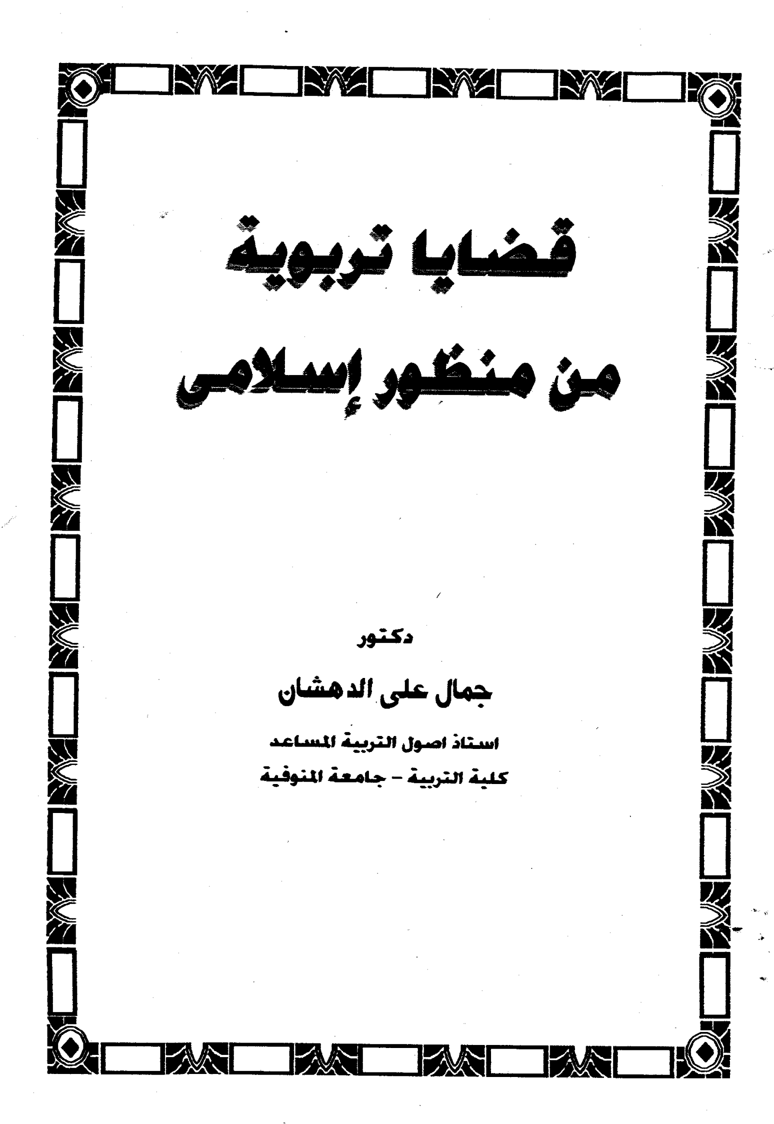


قضايا تربوية من منظور إسلامي

دكتور

جمال على الدهشان

استاذ اصول التربية المساعد

كلية التربية - جامعة المنوفية

قضايا تربويـــة
مـــن منظـــــــــور اســـــلامـى

د. جمال الدهشان

مقدمـــة :

الحمد لله الذى ابان لعبـاده منهج التربية القويمة فى قرآنه المجيد ، حيث قال فى محكم التنزيل " قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين " ، وقال ايضا " ومافرطنـا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون " ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلــين محمد النبى الامى بعثه الله للانسانية مؤدبا ومربيا ، ولقد اكد القرآن هذا " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَـــةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " الجمعة آية "٢" ، قال عن نفسه " انما بعثت معلما" وقال ايضا " الا ان ربى امـر نــى ان اعلمكم ماجهلتهم مما علمنى " ووصفـــه احد الصحابة فقال " مارأيت معلما قبله ولابعده احسن تعليما منه " . اللهم صلـى وسلم بارك عليه وعلى آله واصحابه الطيبين الذين اعطو الاجيال المتعاقبة نماذج فريـدة فى التربية والتعليم ، وعلى من نهج نهجهم واقتفى اثرهم باحسان الى يوم الدين .. وبعد فلقد اجمع كثير من المفكرين على ان التربية كانت السبيل الذى سلكه محمد عليه الصلاة والسلام لاحداث اعمق تغير فكرى وعقائدى عرفه التاريخ فى نفس الانسان ، بل استطاع من خلالها ان يربى رجالا قضوا فى سنوات قليلة على معاقل الشرك والوثنية فى مكــة المكرمة ، ويقيم للاسلام دولة فى الجزيرة العربية ثم يقيم خلفاؤه واتباعه من بعــده امبراطورية كبرى تحل محل اكبر امبراطوريتين فى ذلك الوقت وهما الفرس والروم .

اذا كانت التربية عملية اجتماعية مشروطة بشروط الزمان والمكان تستلهم موجهاتهـــا من ثقافة المجتمع وقيمه الاساسية فان الامر يتطلب ضرورة ان تهتم كليات اعداد المعلمين بان توضح لطلابها جوانب وخصائص وطرائق التربية من المنظور الاسلامى ، حتى يستطيعوا ان ينقلوا الى تلاميذهم بعد تخرجهم هذه الجوانب وتكون تربيتهم لهم وفق هذه الخصائص ومن خلال هذه الطرائق والاساليب .

ان مايتناوله الباحث من قضايا تربوية لايعبر بصورة يقينية عن موقف او روء يـــــة او منظور الاسلام عن تلك القضايا ، وانما هو اجتهاد فردى وروء ية او منظور خاص ، فهو تعبير عن وجهة نظر الباحث فيما فهمه من الموقف الاسلامى بالنسبة للقضية التربويـــة فهى اذن لاتزعم يقينا قاطعا ، وانما تقف عند حد الاحتمالية البعيدة عن مرتبة الظن . فقد حرص الباحث كل الحرص على الاستناد الى ثوابت العقيدة الاسلامية واصولها ،واستخدام الدليل والبراهين واعمال العقل فى فهم النص والوقائع من خلال الاستقراء والاستنبـاط والتحليل والتفسير ، ومن ثم فان مايقدمه هو منظور اسلامى وليس بالمنظور الاسلامى.

- طبيعة التربية واتجاهاتها العامة من منظور اسلامى
- الاسرة ودورها التربوى من منظور اسلامى .
- تعليم المراة من منظور اسلامى .
- تكافوء الفرص التعليمية المفهوم ومظاهر التطبيق فى عصور الازدهار الاسلامى .
- الخدمات الطلابية فى مصر زمن الايوبيين والمماليك .

الفصـل الأول

===========

طبيعة التربية و اتجاهاتها العامة من منظوراسلامى

طبيعة التربية واتجاهاتها العامة من منظور اسلامى

يخطىء البعض عندما يتصورون انه يمكن تناول طبيعة التربية واتجاهاتها العامة من المنظور الاسلامى دون الفهم الواضح لمقومات العقيدة الاسلامية واتجاهاتها العامة فلقد اتى الاسلام بأيديولوجيات معينة وتصورات للفرد والمجتمع ، تختلف ـ قليلا او كثيرا ـ عن الايديولوجيا التى كانت سائدة قبله ، وانعكست هذه الايديولوجيا الجديدة على كل جوانب المجتمع ومن بينها التربية ولذلك فبدون فهم هذه الايديولوجيا الاسلامية أو مقومات العقيدة الاسلامية لايمكن فهم طبيعة التربية واتجاهاتها المختلفة من المنظور الاسلامى ، هذه المقومات لايمكن فهمها دون الرجوع الى اطارها النظرى كما نراه فى الكتاب والسنة ٠

اولا : مقومات العقيدة الاسلامية :

فى ضوء ذلك يمكن تحديد مقومات العقيدة الاسلامية فيما يلى :ـ

١ ـ توحيد الله وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء : حيث يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم " آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنزِلَ اليه مِن رَبِّه وَالمؤمِنُون كُلٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِه ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفرانَكَ رَبَّنَا وإِلَيكَ المَصِيرُ " البقرة آية "٢٨٥" ٠ " لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ والمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الاخِرِ وَالمَلَائِكَةِ والكِتَابِ والنَّبِيِّينَ "البقرة آية ١٧٧"

فمن اهم مقومات العقيدة الاسلامية الايمان بوحدانية الله والايمان بالرسل السابقين وبرسالتهم وعدم التفرقة بين احد منهم ، وكذلك الايمان بالملائكة والايمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره .

اما الآيات التى وردت بشأن التوحيد فهى كثيرة حيث يكاد لاتخلو سورة من سور القرآن من التأكيد عليه ، من هذه الآيات قوله الحق تبارك وتعالى " وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ " البقرة آية ١٦٣" ، اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ " آل عمران آية "٢" ، قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ " الانبياء آية ١٠٨

هذا بالاضافة الى الايات التى تنزهه سبحانه عن الشريك والصاحبة والوالد والولد" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" الاخلاص

٢ ـ الاسلام دين الفطرة ، فبالفطرة السليمة يستطيع الانسان ان يلتفت حوله فيرى الله فى كل شىء وان يرتد الى نفسه فيرى الله داخله ، وفى كل مخلوق من مخلوقاته وفى كل مكان من حوله ، فكل مافى الكون صورة حية لقدرته ووحدانيته ، ولبديع صنعه ، ولكمال ارادته ، ففطرة التوحيد هى خلقه الله التى خلق الناس عليها وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " الروم آية ٣٠ ، اى الزم خلقة الله التى خلق الناس عليها ، وهى انهم قابلون للتوحيد غير منكرين له ، ولكن المشركين لايعلمون حقيقة ذلك ، وهذا التفسير يتفق مع ماجاء

فى الحديث النبوى " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه".
وهناك من يرى ان القول بأن الاسلام دين الفطرة يعنى انه لايوجد نظام أو دين يعالج الفطرة كما يعالجها الاسلام ، او يستخلص من هذه الفطرة بعد تهذيبها وضبط ايقاعاتها مايستخلصه الاسلام ، انه لايعطى كل جانب من جوانب الانسان غذاءه فحسب ، بل يعطيه اياه كذلك بالقدر المضبوط الذى لايجيعه ولايتخمه ، وما من نظام آخر يعالج النفس البشرية بهذه الدقة وذلك الشمول .

٣ - الانسان خليفة الله فى الارض، فالانسان من المنظور الاسلامى ليس مجرد مخلوق كغيره من المخلوقات الكثيرة ، وانما هو سيد هذه المخلوقات ، بحكم ذلك الاستخلاف الذى كرمه به ربه يوم خلقه . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ " البقرة آية ٣٠" ولقد كانت هذه المنزلة التى احتلها الانسان بين بقية خلق الله بما فيهم الملائكة المقربون هى التى احقدت عليه احد عباده المقربين وهو ابليس ففسق عن امر ربه ، حين امر الملائكة ان يسجدوا لهذا المخلوق الذى كرمه ، وكان جزاؤه الطرد من رحمة ربه ، لتبدأ - بعد هذا الطرد - ملحمة الصراع بينه وبين الانسان أو بين الحق والباطل الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ومحور خلافة الانسان فى الارض استخدام العقل وتحمل التكاليف واداء الامانة من خلال مايتعلم المرء ، ويحقق من خلال تعلمه الادراك والفهم ، والتمييز

بين الحلال والحرام ، أو بين الطيب والخبيث ، وهو بذلك يتميز عن سائر المخلوقات حتى الملائكة لانها تفعل ماتؤمر ، ولاتملك ان تفكر فى امر ما ، أو ان تتدبره ، اما الانسان فهو الكائن المهيأ للتفكير وتحمل المسئولية والامانة .

ولكى يتمكن الانسان من الاستخلاف فى الارض خلقه الارض فى احسن صورة وجعله احسن خلقه باطنا وظاهرا ، جمال هيئة ، وبديع تركيب وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " التين آية ٤

ويقول القرطبى فى تفسير هذه الاية ان الله قد خلق آدم وذريته عن احسن مايكون اعتدالا، لأنه خلق كل شىء منكبا على وجهه وخلقه مستويا ، وله لسان ذلق ، ويده اصابع يقبض بها ، مزينا بالعقل ، مؤدبا للامر ، مهذبا بالتمييز ، سديد القامة ، يتناول اكله بيده ..

وصدق الحق حين قال " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً " الاسراء أية ٧٠

كذلك سخر الله لهذا المخلوق المكرم ما فى السموات والارض ليتمكن من اداء وظيفته كخليفة لله فى الارض — ومكنه من السيطرة عليها والتصرف فيها بالعقل والعلم وفى ذلك يقول الله تعالى " أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّافِى الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ " الحج آية ٦٥

ويقول فى سورة اخرى " أَلَمْ تَرَوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّافِى السَّمَوَاتِ وَمَافِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَهً ... لقمان اية ٢٠

٤ ـ ان الله خلق الناس جميعا لعبادته ، وعبودية الانسان لله شرف ، فيها تتم عزته وبها يتحقق صلاح امره ، وقد ارسل الله الرسل جميعا الى البشر ليأمروهم بعبادته سبحانه وتعالى ، بل ان جميع الرسل والانبياء عليهم السلام يصفهم الله سبحانه بأنهم عباده .

" قال تعالى " وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون مَاأُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَاأُرِيدُ أَن يُطْعِمون إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ " الذاريات الايات ٥٦ ــ ٥٨
وقال ايضا " يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الذِى خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَكُم تَتَّقُونَ " البقرة آية ٢١

وقد يظن بعض الناس ان العبادة تقتصر على اداء الصلاة وصيام رمضان وايتاء الزكاة وحج البيت بعد الشهادة بأنه لااله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماعدا ذلك فليس بعبادة والصحيح ان العبادة شاملة لكل مايقوم به الانسان من عمل او فكرا او شعور مادامت وجهته الى الله تعالى ، فالعبادة منهج حياة يستغرق كل الحياة ويشتمل على مايقوم به العبد من اقوال واعمال أواحاسيس أو اى جزء من سلوكه .
فعن ابن ابى شيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " كل معروف صدقة " وعن ابى ذر ان ناسا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى : يارسول الله ذهب الدثور بالاجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم .
قال أوليس قد جعل الله لكم ماتتصدقون : ان بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وامر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ،

وفى بضع احدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله يأتى احدنا شهوته ويكون له فيها اجـر ٠
قال " أرأيتم لووضعها فى حرام اكان عليه وزر؟ فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له
اجر" ٠ فكل قول او عمل يقوم به الانسان هو عبادة ، اتيانه شهوته مع زوجته عبادة ،
وكف اذاه عن الناس عبادة ، والوجه البشوش مع الاصدقاء عبادة ، والرحمة بالذين يعطون
عنده عبادة ، والسعى فى الرزق عباده لها اجر المجاهد فى سبيل الله ، والرفق بالحيوان
حتى فى الذبح عبادة ، وازالة الاذى عن الطريق عبادة — وغيرها من امور الانسان بشرط أن
يقوم بها بنية خالصة لله ٠ فالانسان يعبد الله كأنه يراه فان لم يكن يراه فان الله
سبحانه وتعالى يراه ٠

٥ — ان التقوى والعمل الصالح هو الاساس فى التفاضل بين الناس عند الله ، فالله
عزوجل جعل جميع افراد الجنس البشرى عند ميلادهم متساوين، لافضل لاحدهم على الاخر
الا بما يعمله فقط ، ولعل ابلغ دليل على ذلك هذا النداء الالهى للناس كافة ٠
"يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" الحجرات اية ١٣ ٠

فلافرق بين الناس بسبب الانساب اذ لاتنفع الانساب عند الله ولايكرم شخص لاصله
او نسبه ولايخذل فرد لمجرد ضعف نسبه بل العمل هو الاساس فى الفضل بين الناس
عند الله قال تعالى " فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ "
المؤمنون آية ١٠١ " ٠

٦ — ان كل فرد مسئول عن عمله، فاذا كان الله قد هيأ له كل الامكانات وكرمه وسخر

له كثيرا من مخلوقاته كان عليه ان يتحمل كل انسان نتيجة عمله هو ، وماقدمته يــداه ولايحمل وزر غيره ولايحمل وزره احد ، فالفرد لايسأل عما يعمله ابوه أو ابنــه قــال تعالى " وَلَاتَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ، وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، الانعام اية "٦٤" وقال ايضا " وكلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَــاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا • مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " الاسراء آيــــة ١٣ ــ ١٥•

واذا كان كل فرد مسئول عن عمله فان من رحمة الله بعباده انه لم يكلفهـــــم بمسئولية اكثر مما يطيقون ومن ثم فمسئوليتهم كاملة عما يعملون •
قال تعالى " لايكلف اللهُ نفساً الا وُسْعَهَا لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَااكْتَسَبَتْ " البقرة ايــة ٢٨٦ •

واذا كان كل فرد مسئول عن عمله، وكان الناس مختلفون فيما بينهم فيما لديه من قدرات فان من رحمة الله بعباده انه لم يكلفهم بمسئولية اكثر مما يطيقون ، وترك لكل فرد أن يعمل بحسب طاقته ووسع قدرته هو يقول القرآن " لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" البقرة اية ٢٨٦ ، ويقول ايضا "وَلَانُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" الموءمنون اية ٦٢ فالله لايأمر العبد الا بما في وسعه وفي مقتضى قدرته،وينسحب هذا حتى على الطاعات المفروضه فمن لم يستطع ان يصلي قائما فليصل جالسا ،ومن لم يستطع ان يصوم فليأكل ،والحج مفروض على القادر فقط ،فالاستطاعة شرط من شروط وجوبه،ومن ثم فليس مفروضا على الجميع، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " ال عمران اية ٩٧•

ثانيا : معنى التربية وخصائصها من منظور اسلامى :

كلمة التربية بمعناها الاصطلاحى من الكلمات الحديثة التى ظهرت فى السنوات مرتبطة بحركة التجديد التربوى فى البلاد العربية فى الربع الثانى من القرن العشرين ، ولذلك لانجد لها استخداما فى المصادر العربية القديمة ، وماكانت تستخدمه هذه المصادر هى كلمات مثل التعليم والتأديب والتهذيب ، وهى كلها مرتبطة بالتربية كما نفهمها اليوم اوثق الارتباط ٠

والواقع ان كلمة " التربية " لم ترد فى القرآن الكريم الا فى موضعين اثنين فقط هما قال تعالى " وَقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً " سورة الاسراء آية ٢٤ ، وقال ايضا " أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ " الشعراء آية ١٨ ، وتبين هاتان الايتان ان المقصود بالتربية هى عملية الاعداد والرعاية فى مرحلة النشأة الاولى للانسان ، او كما نقول اليوم مرحلة الطفولة المبكرة ٠

وفى معجم الفاظ القرآن الكريم : رب الشىء يربه ربا : رباه ورعاه ليبلغه كماله ولذلك يقال رباه : نماه ، وجاء فيه ايضا : رباه فى حجره يربو ربوا : نشأ ، وربا فى بنى فلان نشأ فيهم ، ورباه تربية : نماه ونشأه ، وقد ورد فى تفسير الصابونى ان كلمة تربية جاء ت فى القرآن بمعنى الزيادة والتنمية (يكثر الصدقات وينميها) كقوله تعالى " يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ويُرْبِى الصَّدَقَاتِ " البقرة آية ٢٧٦ ، وبمعنى اخضرت

واينعـت كقوله تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَـــاءَ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ .. " فصلت اية ٣٩ . اى انتفخت وزادت بما يتخللها ويعلوهـا مـن ماء ونبات .

فالتربية تعنى الزيادة والتنمية ، تنمية قوى الفرد الجسدية والعقلية والخلقيـــة من خلال مجموعة من الاجراء ات والطرائق العطية التى تتفق مع القيم والمبادىء التى اتى بها الاسلام ، كما نجدها فى القرآن والسنة بصفة رئيسية اولا ، ثم الاستعانـــة بالجهود الفكرية الاخرى التى قام بها ذلك الرعيل الكبير من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة وغيرهم من المفكرين المسلمين ، هذه الاجراء ات يوء دى تنفيذها الى ان يسلـــك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الاسلام .

فالتربية من المنظور الاسلامى — هى مجموعة العمليات والاجراء ات والافكار التى تعمل على تنشئة او تنمية الانسان الموء من العابد لربه على اســاس من العقيـــدة والشريعة الاسلامية، عارفا بها، وعاملا بمقتضاها، معدلة من سلوكه فى ضوئها من المهـــد الى اللحد، هذه التنشئة تتم بصورة شاملة ومتوازنة .

خصائص التربية :

فى ضوء المعنى السابق الاشارة اليه للتربية يمكن تحديد خصائص التربية مـــن منظور الاسلام فيما يلى :—

١ ـ انها تربية مستمرة فهى تربية لاتنتهى بفترة زمنية معينة ولا بمرحلة دراسية محددة وانما تمتد على طول حياة الانسان كلها، تربية من المهد الى اللحد . فالبرنامج التربوى الاسلامى يبدأ قبل ميلاد الانسان-من خلال امر الزوج بحسن اختيار زوجته ـ ويستمر حتى نهاية حياته ، ولاشك ان ماتضمنه القرآن الكريم والاحاديث الشريفة من حـــث المؤمنين على طلب العلم وارتشافه من مناهله من المهد الى اللحد ، كان دافعـــا لتعلق المسلمين بالعلم ، بحيث عـد طلبه والسعى اليه تقليدا من تقاليد الاســلام فليس فى الاسلام نهاية او سن محددة لطالب العلم حيث يقول الزرنوجى فى كتابـــه " تعليم المتعلم طريق التعلم " انه لاعذر لصحيح الجسم والعقل فى ترك طلـــب العلم مهما كان عمره"، وسئل ابو عمرو بن العلاء "حتى متى يحسن بالمرء ان يتعلم؟ اجاب مادامت الحياة ، وسئل حكيم " ماحد التعليم ؟ فأجاب حد الحياة " ، ويرى ابن قتيبة "انه لايزال المرء عالما ماطلب العلم ، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل".

٢ ـ انها تربية شاملة تتفق مع شمول نظرة الاسلام الى الانسان حيث جمعت التربيـة الاسلامية منذ اول ظهور الاسلام بين تأديب النفس،وتصفية الروح،وتثقيف العقل،وتقويـة الجسم ، فهى تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعقلية والجسمية دون تضحية بأى نوع منها على حساب الاخر، ولقد كان الرسول صلى اللــه عليه وسلم يأمر بالاعتدال فـــى العبادة وينهى عن صوم الدهر وكان يقول " إن لبدنك عليك حقا " وكان عمر رضى اللـه عنه ينصح المسلمين بأن يعلموا اولادهم الرماية والسباحة وركوب الخيل .

٣ ـ انها تربية متكاملة بمعنى انها لاتقتصر على مكان دون مكان فهى تتم فى المسجد والمدرسة والشارع والحقل وميدان القتال ٠٠ وغيرها .
الواقع ان التربية فى وقتنا الحالى تعانى من عدم التناسق والتكامل بين موء سساتها المختلفة، فما يقدمه المنزل قد تخالفه المدرسة ووسائل الاعلام ، وماتقوله الام يقول غيره الاب او الصديق ، وهو مايحدث كثيرا من التشويش والاضطراب لمن يتعرض لهذه الموء ثرات المختلفة • وكل انسان فى هذه التربية المتكاملة متعلم ومعلم ، طالما كان لديه مايعطيه ـ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول " الحكمة ضالة الموء من انّى وجدها فهو اولى الناس بها " ، فلا كبير على العلم فى الاسلام ولايزال الانسان عالما ماطلب العلم فان ظن انه قد علم فقد جهل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلم من اصحابه مالايعلمه، وكان فى الوقت ذاته يعلمهم فى المسجد والشارع والمنزل وفى كل مكان يكون التعليم فيه ضرورة، وكان الخلفاء الراشدين من بعده اساتذة معلمين قبل ان يكونوا حكاما ، فقد كان الفاروق عمر ـ رغم شدته وتشدده ـ يعلم الناس ويتعلم منهم وكم كان سعيدا عندما ردته امرأة مسلمة فى المسجد وقال قولته المشهورة " اصابت امرأة وأخطأ عمر " ٠

٤ ـ انها تربية تقوم على الحرية وسبيلها الاقناع والقدوة الحسنة حتى فيما يتصل بمسائل العقيدة حيث يقول الحق تبارك وتعالى " قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ ، لَاأَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ ، وَلَاأَنتُمْ عَابِدُونَ مَاأَعْبُدُ ، وَلَاأَنَا عَابِدٌ مَّاعَبَدتُّمْ ، وَلَاأَنتُمْ عَابِدُونَ مَاأَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ " سورة الكافرون ٠ ويقول ايضا " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " النحل ايه ١٢٥

٥ ـ انها تربية تقوم على الحث على التعلم والتعليم وتهيئة الفرص التعليمية لطالبيها ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وعبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ٠ والقرآن الكريم يحث فى معظم سوره وآياته على طلب العلم وتعليمه ، والاحاديث النبوية فى ذلك اكثر من ان تحصى فى معرض الحديث هنا ، ويكفى الاشارة فى ذلك الى كتاب جامع بيان العلم وفضله وماينبغى فى روايته وحمله للامام القرطبى ٠ لذلك كانت فرص التربية والتعليم متاحة لكل افراد المجتمع المسلم طالما كانت لدى الفرد القدرة والاستعداد الشخصى لعملية التعلم ، فالفقر لم يقف عائقا امام الراغب فى العلم او الساعى اليه ، حيث كانت عناية المدرسين بتلاميذهم الفقراء تصل بهم الى حد الانفاق عليهم من مالهم الخاص ، كما حظى هوء لاء الطلاب الفقراء بنصيب موفور من اوقاف الاغنياء ، كما كانت توجه عناية خاصة للطلاب الموهوبين الذين تبدو عليهم مخايل الذكاء او الفطنة ، وكان يعد من الظلم ان يحرم طالب نابغ من تلقى العلم لأى سبب من الاسباب ، حيث قال الامام الغزالى " انه ليس الظلم فى اعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق ٠

كما لم تكن عناية واهتمام المجتمع الاسلامى بالمتعلمين تقف عند حد الطلاب الفقراء او الموهوبين بل امتدت كذلك الى المعوقين يعبر عن ذلك كثرة الاعلام والمشاهير الذين لمعوا من هذه الفئات والذين ماكانوا ليشتهروا او ينبغوا لولا العون الاجتماعى على المسدى اليهم لتخطى عوائقهم ، فضلا عن سموهم بأنفسهم عن العاهات التى اصيبوا بها ، وقد اهتم الموء رخون والموء لفون فى التراجم بالحديث

عن اشهر من كان فى زمنهم من المعوقين او نبغ فى انواع العلوم والفنون التى أرخوا لها وللمشتغلين بها بل ان بعضهم خص هذه الفئات بالتأليف من هؤلاء الجاحظ الهيثم بن عدى ، صلاح الدين الصفدى ٠٠٠٠٠ وغيرهم ٠

٦ ـ انها تربية سلوكية عملية: فهى لاتكتفى بالقول انما تتعداه الى العمل والممارسة حيث يمارس فيها المتعلم مايتعلمه وقد كان صحابة الرسول الكريم ـ المعلم الاول ـ يحفظون آيات القرآن عشر آيات ، عشر آيات لاينتقلون من عشر آيات منها ، الا اذا ترجموها الى واقع حى وسلوك عملى ينتقلون بعدها الى الايات العشر التالية ٠
فلا ايمان بدون عمل ، والايمان هو ماوقر فى القلب وصدقه العمل ، ولذلك جمعت كل آيات القرآن بين الايمان والعمل فالحديث عن الذين آمنوا يقترن دائما بأنهم عملوا الصالحات يقول تعالى " والعَصرِ إنَّ الإنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إلَّا الذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَواصَوْا بالصَّبرِ " سورة العصر، فالعبرة دائما بالعمل وفى ذلك يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " اشد الناس حسرة يوم القيامة : رجلان ، رجل علم علما فيرى غيره يدخل الجنة بعلمه لعمله به ، وهو يدخل به النار لتضيعه العمل به ، ورجل جمع المال من غير وجهه، وتركه لوارثه فعمل به الخير ، فيرى غيره يدخل به الجنة، وهو يدخل النار " ٠

فلا فائدة من التغيير لو اقتصر على مجرد الحصول على معارف ومعلومات جديدة فالتغيير الذى تحدثه التربية لابد ان يكون تغييرا فى السلوك ، صحيح ان تغيير السلوك لايتم بصورة سليمة الا اذا سبقته القاعدة المعرفية، ولكن من الصحيح ايضا

ان هذه القاعدة ليست الا وسيلة لغاية واداة لتحقيق هدف هو الممارسة الفعلية لقيمة ما أو لاتجاه ما ٠

وانطلاقا من ان القيمة الحقيقية لفعل المعرفة واثرها انما يتبدى فى دنيا العمل حفل التراث الاسلامى بالعديد من الروايات التى تشير الى هذا وتؤكد عليه ، ومن ذلك قول ابى الدرداء " ويل لمن لايعلم ولايعمل مرة ، وويل لمن يعلم ولايعمل سبع مرات" وقال احد الحكماء : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، واشد منه عذابا من اقبل عليه العلم فأدبر عنه ، ومن اهدى الله اليه علما فلم يعمل به " ٠

٧ - انها تربية فردية واجتماعية معا ، فالتربية من منظور الاسلام تقوم على تربية الانسان تربية فردية ذاتية فهى تربية على الفضيلة وتحمله مسئولية اعماله وتصرفاته فكل امرىء بما كسب رهين وكل مسلم راع وهو مسئول عن رعيته ، وفى نفس الوقت يربى الاسلام الفرد تربية اجتماعية فالمسلم اخو المسلم ، والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى" ، وهى تربية تجرد الفرد من روح الانانية البغيضة " لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه" ، "ومن لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم " ٠

ولعل هذه الخاصية تتفق مع الخطين المرتبطين المتناقضين فى كيان الانسان احساسه بفرديته ، واحساسه بالميل الى الاجتماع بالآخرين والحياة معهم كواحد منهم ، فالانسان

الذى لاشخصية له فى ذاته ، لاينشىء الا مجتمعا مستضعفا خانعا يصلح لان يحكمه فرد متسلط دكتاتور ، والانسان الذى تبرز شخصيته ـ بانحراف ـ الى حد الانانية المرذولة او الطغيان ، لايستطيع ان يعيش فى وفاق مع الجماعة ، فلابد من انسان متوازن فى فرديته ومتوازن فى ميله الى الجماعة وتعاونه معها .

ويشير محمد قطب الى ان الاسلام يحقق هذا التوازن بوسائل شتى، فالفردية ينشئها الاسلام يربط القلب البشرى بالله، فالانسان يتصل بربه فردا ، وهو يستغرق احيانا فى العبادة لله ويستغرق فى الحب، الى حد ان ينسى كل شىء فى الوجود غيره

هذه الصلة الفردية الشخصية بالله هى التى تمنح الانسان وجودة المستقبل ، كذلك يربى الاسلام الفردية المستقلة من خلال التأكيد على مسئولية الفردية عن اعماله، فكل انسان مسئول عن عمله، لايستطيع أن يلقى حمله على غيره . وصدق الحق تعالى فى قوله " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ " المدثر اية ٣٨، "بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ•وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ " القيامايه ١٤ـ١٥، "لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا " البقرة ايه ٤٨ . فالشعور الدائم بهذه المسئولية الفردية يحدد للانسان من داخل نفسه كيانا متميزا واضح الحدود.

وبالنسبة للجماعية فالقرآن يغذ يها من خلال توجيهاته الدائمة الى الحب والبذل والإيثار والتعاون والتشاور والوفاق . "وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" الحشر اية ٩ "وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ، وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ " المائدة اية ٢ " ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ" التوبه أيه ٧١ "وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ " الشورى أية ٣٨ .

ثالثا : اهمية التربية من منظور اسلامى

يضع الاسلام التربية والتعليم فى قمة او صدارة اولوياته باعتبارها ضرورة حيويـــــة وفريضة دينية فى اعناق جميع الآباء والمعلمين ، وامانة يحملها الجيل الجديد للجيـل الذى بعده ، ويوء ديها المربون للناشئين ، وتنبع اهمية التربية من النواحى التالية :

١ ـ ان الاســـلام يستهدف اعادة تشكيل الشخصية وصياغة سلوكها وفقا للنهج الربانى المرسوم معالمه الاساسية فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذا الهدف لايمكن تحقيقه الا من خلال عمليتى التعليم والتعلم ، فالانسان ـ فى الاسلام ـ لـم يكن بقادر على ان يرقى الى تلك المنزلة الكريمة التى وضعها فيها ربه يوم خلقـه، وهى منزلة الاستخلاف ،ولم يكن بقادر ـ ايضا ـ على ان يقيم ذلك التـــوازن بين حاجات الجسد وحاجات الروح وبين مسئولياته المختلفة ، الملقاة عليه كفرد وكعضو فى جماعة ، ولم يكن بقادر ـ كذلك ـ على اعادة تشكيل ضميره الذى هـــو قوام حياة المسلم الا بالتربية ، ولذلك لم يكن غريبا ان ترافق التربية الدعـــوة الاسلامية منذ لحظاتها الاولى .

٢ ـ ان احد الطرق الرئيسية للايمان بالله وعبادته هى التأمل والتدبر فى ملكوت الله والايات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة ، فالتأمل فى ملكوت الله وآياته الكونيـــة تجعل الناظر العاقل ذى القلب السليم يوء من ويتيقن من وجود خالق واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد هذا التأمل والتدبر والتفكر او النظـــر

المطالب به الانسان يستحيل ان يقوم على مجرد نظرة خاطفة وتأمل لحظى وتدبر وقتى وتفكر جزئى ، وانما لابد ان يقوم على بحث ودراسة وتعليم وتعلم ٠

٣ - ان الدين الاسلامى كما اكد الرسول صلى الله عليه وسلم المعاملة ، والمعاملة انما هى سلوك ، والسلوك الصحيح (السلوك وفق مبادىء وقيم معينة) لايمكن ان يكون ، الا بمعرفة ومعلومات وقيم واتجاهات ومهارات وعادات ، وهو مايشير الى العلاقة الوثيقة بين الدين والتعليم او التربية الى درجة المرادفة ، ذلك ان المعاملة انما هى سلوك ، والسلوك يستحيل ان يكون دينا الا بمعرفة ومعلومات وقيم واتجاهات ومهارات وعادات ٠

٤ - ان الدين الاسلامى يطلب من المسلم دائما ان يحب لغيره ما يحب لنفسه " لايوءمن احدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه "، والا يقصر مايحصل عليه من خير على شخصه وحده ، دائما لابد من ان يفيض به على الآخرين ، ولما كان العلم صورة من صور الخير المأمور به شرعاً يجد المسلم العارف لدينه ان قيامه بواجب التربية والتعليم يدخل ضمن الفرائض فى ذلك، نذكر حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "

٥ - ان المسلم مطالب ان يبلغ الاسلام الى غيره ، ولن يتم للمسلم ذلك الا بالعلم والتعليم والفهم الصحيح للاسلام ولظروف الحياة المعاصرة ، وباحتلاله مكان الصدارة بالنسبة للحضارات المعاصرة ، ولذلك يرى المفكر الاسلامى مالك بن بنى انه

انه اذا اراد المسلم ان يُبلغ الاسلام الى غيره ، فليرفع من مستواه العلمى والحضارى حتى يستطيع فعلا القيام بهذا الدور ، اذ بمقدار مايرتفع الى مستوى الحضارة بمقدار مايصبح قادرا على تعميم ذلك الفضل الذى اعطاه الله (اى دينه)،اذ عندها فقط يصبح قادرا على بلوغ قمم الحقيقة الاسلامية ، واكتشاف قيم الفضيلة الاسلاميـــة ومن ثم ينزل الى هضاب الحضارة المتعطشة فيرويها بالحقيقة الاسلامية ، وبالهدى وبذلك يضيف اليها بعدا جديدا وهو بعد السماء "

رابعا : اهداف التربية من منظور اسلامى

يمكن تحديد اهداف التربية فى الاهداف التالية :ـ

١ ـ اعداد الانسان العابد، فالغاية من جود الانسان هى عبادة الحق تبارك وتعالى وصدق الله حيث قال "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " الزاريات اية ٥٦ والعبادة باعتبارها منهج يشمل كافة جوانب حياة المسلم ، لايمكن ان يقوم بهـــا المرء ويوء ديها بصورة صحيحة الا من خلال العلم والتربية ، فالعلم هو السبيل الى معرفة الله عز وجل وخشيته ، والعلماء هم اكثر عبادالله خشية له جل شأنه وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " سورة فاطر اية ٢٨

فاداء الفرائض الواجبة على المسلم تستلزم التعلم والتربية ، ولذلك امر المسلمون ان يعلموا اولادهم هذه الفرائض (من صلاة ووضوء لها وذكاة ٠٠ وغيرها)

ويدربوهم عليها ويؤدبوهم بها ، ليسكنوا اليها ويألفوها فتخف عليهم ، اذا انتهوا الى وجوبها عليهم ٠

٢ ـ التقرب الى الله تعالى : فالاسلام يجعل تربية وتعليم الابناء من القربات وعبادة من افضل العبادات وذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لان يؤدب الرجل ولده خير من ان يتصدق بصاع " ، ويقول ايضا " من علم ولدا له القرآن قلده الله قلادة يعجب بها الاولون والاخرون يوم القيامة " وروى البخارى فى صحيحه عن ابى بردة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ايما رجل كانت عنده وليدة ـ أى جارية ـ فعلمها وأحسن تعليمها وادبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها فله أجران " ٠ هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان حسن تربية الولد يجعل منه انسانا صالحا يكون اثرا باقيا للاب بعد مماته ويدعو له ووسيلة للتكفير عن آثامه ، وذلك مصادقا لحديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له "ـ ومن ناحية ثالثة فان السعى فى طلب العلم وتعليم الغير يعد عبادة من افضل العبادات تعادل الجهاد فى سبيل الله ووسيلة للتقرب الى الحق تبارك وتعالى وفى ذلك يقول الرسول الكريم " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع " ويقول ايضا " مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة ويقول كذلك " تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ٠" وغيرها الكثير٠

٣ - تقوية الروابط بين المسلمين ودعم تضامنهم وخدمة قضاياهم : ويتم ذلك من خلال ماتقومه به التربية من توحيد او تقريب للافكار والمشارب والاتجاهات والقيم بين المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، فالتربية بمناهجها (اهدافها ، ومحتواها وطرائقها) ووسائطها واساليبها تعد عاملا فعالا فى تحقيق تماسك المسلمين ووحدتهم وجمع شملهم وتكتيل جهودهم وجعلهم جميعا على قلب رجل واحد .

خامسا : محتوى التربية وطرائقها من منظور اسلامى

يعد محتوى التربية وطرائقها تطبيقا مباشرا للاهداف التى تسعى الى تحقيقها ولذلك فانه اتساقا مع اهداف التربية من منظور اسلامى ، لايقتصر محتوى التربية على علوم القرآن الكريم واصول الدين او تعليم الاطفال بعض المبادىء الاساسية للدين ليشبوا على معرفة الدين علما وعملا ، والنحو لاعراب القرآن والعربية لفهم معانيه ، والهجاء والخط لكتابته ، والترتيل والوقف لحسن قراءته والنطق به صحيحا ، وانما امتد المحتوى ليشمل بالاضافة الى ماسبق كافة العلوم والمعارف التى من شأنها ان تسهم فى اعداد الانسان العابد المرء من بربه جسميا وعقليا وخلقيا . فلا يوجد محظور فى العلم من المنظور الاسلامى ، وان الاسلام نهى فقط عن تعلم وتعليم السحر واعتبره كفرا او قرينا للكفر ، وماوراء ذلك فلايخرج عن اطار الفريضة والاباحة .

وانطلاقا من ذلك لم يقتصر محتوى التربية والتعليم فى عصور الازدهار الاسلامى على العلوم الدينية فالاهتمام بالجانب الدينى والخلقى لم يمنع المربون المسلمون من

العناية بالعلوم العقلية واللغوية والرياضية ٠٠ وغيرها ، ولذلك اشتمل المحتوى — بالاضافة الى العلوم الدينية باعتبارها المواد الرئيسية — كذلك على الحساب والشعر والتربية الرياضية وكل مامن شأنه ان يساعد فى اعداد الصبى المتعلم لمهنة او حرفة ، او فى تنمية مهارة من المهارات اليدوية لديه ، وكل مامن شأنه ان يمكن الفرد من احداث التطوير اللازم للمجتمع ٠

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاهتمام بالجانب الدينى والخلقى لم يمنع المربين المسلمين من التأكيد على ضرورة تغير المنهج (بمعناه الواسع) وتطويره مادامت مصلحة المتعلم ومصلحة المجتمع متفقة مع هذا التغيير والتطوير ٠ ولعل اوضح دليل على ذلك تلك الحكمة الرائعة للامام على كرم الله وجهه " لاتقسروا اولادكم على آدابكم ، فانهم مخلقون لزمان غير زمانكم "

اما بالنسبة لطرق التربية والتعليم

فقد تعددت وتنوعت بتنوع محتوى التربية — الطريقة لابد وان تتفق مع المحتوى فبعض الطرق التى تصلح لتدريس مادة معينةقدلاتصلح لتدريس مادة اخرى — ذلك انه من عظمة الاسلام ان ترك للمسلم فى هذه الامور وغيرها ان يختار من الطرق مايتناسب مع ظروفه وظروف عصره طالما ان هذه الطريقة لاتتعارض مع القيم الاساسية للعقيدة الاسلامية ولعل الدارس لطرق التربية والتعليم فى عصور الاسلام القوية سوف يلحظ ان هذه الطرق اشتملت على النواحى التالية :

أ ـ طريقة الحفظ والاستظهار :

واهتم المربون المسلمون بطريقة الحفظ والاستظهار حتى يتمكن الصبى من حفـظ القرآن الكريم والاحاديث النبوية(باعتبارهما المصدران الاساسيان للعقيدة والشـريعـة الاسلامية) بالاضافة الى حفظ بعض النصوص الادبية والامثال ...وغيرها ، وقد دفع هذا الاهتمام بالحفظ بعض المربين الى البحث عن مقويات الحفظ والتماس افضل الوسائل الصحية والنفسية لتنمية الذاكرة والمحافظة على نشاطها ، ومن هوء لاء برهان الاسلام الزرنوجى الذى افرد فصلا فى كتابه (تعليم المتعلم طريق التعلم) تحت عنوان فصل فيما يُورث الحفظ وفيما يُورث النسيان ."

وقد سادت طريقة الحفظ والاستظهار بسبب ان منهج التعليم كان يدور حول القرآن الكريم الذى اعتمد فى حفظه على التقليد والتكرار ، وفى هذه الطريقة كان المعلـم يقرأ بعض الايات ويرددها التلاميذ من خلفه آية آية حتى يتم حفظهم لها ، وهـم ينظرون الى المصاحف ، كما كان الاطفال يكتبون آيات من القرآن الكريم على الواحهـم ويظل الطفل يرددها حتى يحفظها ، ثم يمسح الطفل لوحه ليكتب آيات اخرى يقـوم بحفظها بنفس الطريقة حتى يتم له حفظ القرآن الكريم كله.

٢ ـ الاسوة الحسنة :

القدوة فى التربية تعد من افضل الوسائل واقربها الى النجاح ، خاصة بالنسـبة

لبث الفضائل فى نفس الصغير ، لان القدوة توجد مشاهد حسية ، والخلق اذا صــار عملا بَهرَ وجذب ، ثم ان الطفل مولع بتقليد من يكبره ويسبقه ، ولقد علم الله سبحانه وهو يضع منهجه العلوى المعجز — انه لابد من انسان يحمل هذا المنهج ويحولـــــه الى حقيقة لكى يعرف الناس انه حق ثم يتبعوه ، لابد من قدوة ،لذلك بعث اللــــه محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة للناس جميعا ، فقد كان رسول الله صلى اللــه عليه وسلم ومايزال للمسلمين وللبشرية كلها خير اسوة وافضل قدوة قال تعالـــــــى " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَـــر ٱللَّهَ كَثِيرًا " الاحزاب اية ٢١ ، فالتربية الاسلامية توء كد على اهمية اسلوب القــدوة الصالحة فى تنشئة الاجيال الاسلامية تنشئة سليمة يتحقق معها الخير لانفسهم والمسلمين جميعا ، وقديما قال الشاعر العربى :

عـــن المرء لاتسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقـــارن يقتــــــــــدى
وينشأ ناشــــىء الفتيــان منــــا
علــى ماكـــان عـــوده ابــــــوه

٣ — تقديم الترغيب على الترهيب :

يحرص الاسلام دائما على تقديم الترغيب والثواب قبل التلميح بالترهيب والعقـــاب ، بل وفى ذلك نجد تدرجا لمراحل متنوعة تتنوع وفقا لظروف المتعلم وحالته فى الموقـــف

التعليمي حتى يصلح حال المتعلمين ويستفيدوا من الدروس التي يتعلمونها ، وبصفة عامة نجد ان الترغيب يسبق الترهيب قال تعالى " إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا " البقرة ١١٩ . " مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " الانعام ١٦٠ .

٤ ــ التجربة الشخصية والرحلة بحثا عن الحقيقة ودراسة الكون :

فالقرآن يحتوى على العديد من الايات التى تحض البشر على ان يسيروا في الارض ويرتحلوا فى انحائها " ويستخدموا عقولهم وقلوبهم وحواسهم ليصلوا بها الى الحقيقة حقيقة الوحدانية . عبرة التاريخ ، قصة الخالق ، دراسة القوانين الطبيعية والاستفادة منها فى المعاش وفى التعرف على الخالق القدير وغير ذلك مما ينفعهم من العلوم المختلفة التى تفيدهم فى دنياهم وآخرتهم .

٥ ــ القصص وضرب المثل

فالاسلام يدرك الميل الفطرى الى القصة ويدرك مالها من تأثير ساحر على القلوب فيستظلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم ، وهو يستخدم كل انواع القصة : القصة التاريخية الواقعية باماكنها واشخاصها وحوادثها ، والقصة الواقعية التى تعرض نموذجا لحالة بشرية فيستوى ان تكون باشخاصها الواقعيين او بأى شخص يتمثل فيه ذلك النموذج ، والقصة التمثيلية التى لاتمثل واقعة بذاتها ولكنها يمكن ان تقع فى اية لحظة

من اللحظات وفى اى عصر من العصور ، هذا بالاضافة الى ضرب الامثال ٠

من النوع الاول كل قصص الانبياء وقصص المكذبين بالرسالات وماصابهم من جراء هـــذا التكذيب وهى قصص تذكر باسماء ها واشخاصها واماكنها واحداثها على وجه التحديد والحصر موسى وفرعون ، صالح وثمود ٠٠٠ وغيرها ٠

ومن النوع الثانى قصة آدم " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ٠٠ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ " المائدة ٢٧ ـ ٣٠

ومن هذا النوع ايضا قصة صاحب الجنتين " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ٠٠ وماكَانَ مُنْتَصِرًا " الكهف ٣٢ ـ ٤٣ ٠

وكذلك ضرب الامثال العملية لبيان الحقيقة من خلال امثلة عملية قريبة الى الفهم " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ، أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " النحــل اية ٧٦ وذلك للتفرقة بين المرء من القادر على السير على نهج مستقيم ، والكافر الــذى يعيش عالة على غيره ٠

٦ ـ التكرار مع التلوين

وتتمثل هذه الطريقة فى التعبير عن معنى او قضية معينة بعبارات متعددة واثباتها بوجوه متعددة ، اذ فى هذا التكرار وتغير الاسانيد والحجج مايدفع العقلاء الى ازالـــة الشك والايمان بالحقيقة وليس ادل على ذلـــك من الاساليب الثرية التى استخدمها القرآن

فى قضيـــةالوحدانية وعرضه لها بوجوه متعددة وتكرار عرضها حتى لايكون لاحد فرصــــــة فى عدم الفهم ٠

سادسا : وكالات او موء سسات التربية من منظور اسلامى :

لاتقتصر مسئولية التربية من المنظور الاسلامى على موء سسة معينة دون غيرهـــا وانما تتم التربية فى كل مكان فى المجتمع فى البيت والمدرسة والمسجد وميدان الجهاد وغيرها ٠ ولقد عرف المجتمع الاسلامى عددا من الموء سسات التربوية تمثلت فى الاتى :ـ

أ ــ الاسرة :

وهى تعد من اهم الموء سسات التى يقع عليها مهمة القيام بعملية التربية وتزداد اهمية هذه الموء سسة اذا كانت التربية قوامها النواحى الدينية والخلقية ، وهو ماحدث ومازال ــ بالفعل بالنسبة لتربية الانسان المســلم حيث احتلت ــ ومازالـــت ــ الاسرة مكانا مرموقا فى تشكيل وتكوين الشخصية المسلمة ٠ وسوف تتضح هذه المكانة عن الحديث عن الدور التربوى للاسرة من المنظور الاسلامى ٠

ب ــ الكتاب:

يرتبط اسم " الكتاب " فى الاذهان بتعليم القرآن الكريم مما يجعل البعــــض يعتقد ان نشأته تعود الى ظهور الاسلام ، لكن الحقيقة تشير الى ان الكتاب قـــد وجد أولا لتعليم القراء ة والكتابة وهو مايعنى ان نشأة الكتاب ترجع الى ماقبــــل

ظهور الاسلام • فالكتاب كمكان يتعلم فيه الصبية القرآن الكريم لم يظهر الا فى وقـــت مبكر لظهور الاسلام ذلك ان منهاجه مبنى على القرآن مما يجعل وجوده متوقفا على وجود حفظه للقرآن الكريم ، وبذلك كان الكتاب موء سسة لتعليم الصغار القرآن الكريـــــــم منذ الصدر الاول للاسلام ثم صار بمضى الزمن من مقومات الحياة الاسلامية، نجده فـــى القرى الصغيرة النائية كما نجده فى المدن الكبيرة العامرة ، لانه اصبح بسبب صلته بالدين من ضروريات الحياة الدنيا والاخرة •

وكانت ادوات الدراسة فى الكتاب لاتتجاوز المصحف الشريف وعدة الواح يكتب عليها الصبيان ، وكذلك عدد من الدوى والاقلام (انابيب من الغاب)وهناك وتدا ومسمار تعلق عليه الالواح او المصاحف فى خرائطها ، هذا الى جانب اناء من الماء الـــــذى يشرب فيه الاطفال فى الكتاب ، واناء الماء الذى يغسل به الصبيان الواحهم ويمحون مافيها ليكتب فيها الجديد •

وتذكر لنا المصادر المختلفة انه على امتداد تاريخ الامة الاسلامية والى عهد قريـــــب وجد نوعان من الكتاتيب النـــوع الاول: وهى كتاتيب ينشئها المعلمون انفسهم ويرســــل الآباء اليها اولادهم ليتعلموا مقابل اجرة تدفع الى صاحب الكتاب ، أما النوع الثانـــــى: فهى كتاتيب انشأها الحكام والموسورون لتعليم الاطفال الايتام او الفقراء منهم ، وكانـــوا يوقفون على هذه الكتاتيب الاوقاف للانفاق عليها وسميت هذه الكتاتيب بمكاتب الســبيل او الايتام وهم الفئة التى انشئت من اجلهم هذه الكتاتيب •

حـ ــ المسـجد :

المسجد لغة اسم لمكان السجود ، والجامع نعت للمسجد ونعت بذلك لانه علامة الاجتماع،اما شرعا فكل موضع من الارض مسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم " جعلت لى الارض مسجدا" ولما كان السجود اشرف افعال الصلاة لقرب العبد من ربه ، اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا مركع .

ونظرا لاهمية المساجد باعتبارها مراكز الايمان ورموزه فقد حث القرآن الكريم فى كثير من اياته على تكريم المساجد والدعوة الى تعميرها والمنع من خرابها وتعطيل العبادة فيها ، ففى بعضها جعلت عمارتها من الايمان بالله " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ " التوبة آية ١٨ . وفى بعض الايات جعل السعى الى خرابها اعتداء وظلما ، بل من اعظم انواع الظلم " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ " البقرة اية ١١٤ ، وفى آيات اخرى نسبت المساجد الى الله تعالى فقال " وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا " الجن اية ١٨ . كما حث الرسول على الذهاب الى المساجد وتعميرها فقال " من مشى الى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع الى منزله عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات " .

ولقد كان المسجد فى صدر الاسلام هو المكان الذى يتخرج منه الفقهاء والعلماء

والقادة المسلمين الصالحين فى شتى المجالات ، كان المركز الذى تدور حوله حياة المجتمع وعلى نور رسالته تسير خطى الحياة فى المجتمع ، ولذلك ارتبط تاريخ التربية الاسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا ، ذلك ان وظيفته لم تقتصر على الجانب الدينى وحده وانما امتدت لتشمل مهمة التربية ورسالة التعليم ، فدور المسجد امتد ليشمل مهام اخرى تزيد على مهمة التعليم ، وتجعل منه مؤسسة تربوية بالمعنى الشامل ذلك المعنى الذى يكاد يرادف معنى الحياة بكافة جوانبها ، فقد كان المكان الذى تذاع فيه الاخبار الهامة التى تتعلق بالصالح العام، كما كان الرسول يستقبل فى المسجد الوفود التى تأتى لاغراض مختلفة كطالب معاهدة او اعلان سلام او طلب معونة او غير ذلك . فالمسجد كان اشبه بقاعة الاستقبال الرسمية ، مفتوحة ومهيأة لجميع الوافدين كما جعل النبى المسجد بمثابة مكتب للخدمة الاجتماعية وجمع التبرعات معاونة المحتاجين . وكانت المساجد تظل مفتوحة ليلا ونهارا الا فى حالات قليلة وهى بحكم الشرع يجوز ان تكون مأوى لمن لايجد له مسكنا وللمسافرين المتعبدين ، وكان فى ذلك مايخفف بعض اعباء الحياة ومصاعبها .

اما بالنسبة لنظام الدراسة فكان نظام الحلقات العلمية — منذ جلس الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسجد معلما — حيث يجلس الشيخ بجانب عمود من اعمدة المسجد على خشبة صغيرة او على كرسى من جريد او خشب ، والطلبة حوله على شكل حلقة بترتيب معين فلكل طبقة مكان ، فيجلس المعيدون والممتازون من الزوار على يمين الشيخ ويساره — مثلا ، والعادة ان يحرص كل فرد على ان يجلس قريبا من

الشيخ ولكنه لايتعدى المكان الذى هو اهل له .

واذا كان اول مسجدبنى فى الاسلام هو مسجد قباء بالمدينة المنورة فان هناك عددا من المساجد الاسلامية الكبرى كان ولايزال لها دورا تربويا هاما ، من هذه المساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى والمسجد النبوى ، جامع عمرو بن العاص ، والجامع الازهر ، الجامع الاموى ، مسجد الكوفة ، جامع القيروان ، جامع المنصور ، جامع الزيتونة ، جامع قرطبة . وغيرها .

٣ – المدرسة :

الثابت ان التعليم الاسلامى لم يعرف المدرسة بمعناها الفنى الاصطلاحى الا بعد اكثر من ثلاثة قرون من ظهور الاسلام ، وذلك نظرا لنمو العلم وتطوره بحيث لم يعد يقتصر على العلم الدينى فقط بل امتد ليشمل آفاق اخرى جديدة كالعلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية .. وغيرها والتى لم يكن من المناسب تدريسها داخل المسجد ، فتعليم العلوم الطبيعية والرياضية كان يستوجب استخدام بعض الادوات مما لايتوفر فى المسجد وكذلك تعليم العلوم الفلسفية يستوجب المناظرات والمناقشات التى قد تعكر صفو الجو المحيط بالمصلين ، كما ان احتكاك المسلمين بغيرهم من الامم والشعوب الاخرى قد اوقفهم على اوجه تعليمية جعلتهم يفكرون فى اقامة شكل آخر لموء سسة تعليمية كالمدرسة ، بالاضافة الى ان انشاء المدارس قد ارتبط بالدعاية او الترويج لمذهب معين وهو ماظهر واضحا فى انشاء الازهر بمصر ايام الدولة الفاطمية .

واذا كان بعض المؤرخين قد روج لفكرة مؤداها ان نظام الملك الوزير السلجوقي هو أول من بنى المدارس في العصور الاسلامية وذلك عام (٤٥٩هـ -١٠٦٧م) فان استقراء عددا من الكتابات التاريخية ومقارنتها يشير الى وجود بعض المدارس قبل هذا التاريخ ، ولعل نسبة تأسيس المدارس الى نظام الملك يرجع الى شهرته الادارية والى كثرة المدارس التى أسسها ، والى دوام كثير منها وخدمتها للدولة ، فالمعروف ان نظام الملك قد بنى العديد من المدارس، في بغداد والموصل والبصرة ونيسابور - وغيرها ، حتى قيل انه كان في كل مدينة من مدن العراق وخرسان مدرسة ٠

ومما تجدر الاشارة اليه انه وجدت وكالات او مؤسسات اخرى بالاضافة الى الكتاب والمسجد والمدرسة مثل المكتبات ومؤسسات التثقيف العام كدور العلم ودكاكين الوراقين مجالس العلماء والمناظرة ومنازل العلماء وقصور الخلفاء بالاضافة الى مؤسسات التدريب العملي كالبيمارستانات (مستشفيات ومراكز علم) والورش ومواقع العمل والربط والزوايا والخوانق (الاسم الفارسي لكلمة ربط العربية) ٠

سابعا : المعلمون :

اتضح مما سبق ان التعليم كان عملا دينيا تستوحى دافعه من قوله تعالى " فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ." التوبة (١٢٢) واستجابة فورية لهذه الدعوة بادر عدد من الصحابة الذين تفقهوا في الدين فانتشروا في الارض ليبصروا الناس بأمور دينهم ٠

ولم يكن غير الرسول معلما لهوء لاء الاخيار من الصحابة ، وهو ماأكده رب العزة فقال تعالى " هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهـم الكتاب والحكمة " الجمعة آية ٢ ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسـه انما بعثت معلما " حيث كان الرسول يقرأ على اصحابه مانزل من الوحى ليحفظـوه ويعملون به ، ويشرح لهم معانى الكلمات القليلة التى لم يفهموها ، ويلقنهم اصول العقيدة وآداب الاسلام ويقودهم بالممارسة العملية الى اداء الشعائر المفروضة ففى الصلاة يقـول " صلوا كما رأيتمونى أصلى " وفى الحج يقول " خذوا عنى مناسككم " .

ولقد اتبع مبعوثوا الرسول الى البلدان المختلفة نهجه فى الدين ، يقول النـبى لمصعب بن عمير عندما اوفده الى يثرب قبـل الهجرة لتعليم اهلها من الاوس والخـزرج " اقرئهم القرآن وعلمهم الاسلام وأمهم فى الصلاة ، وقال بمثل ذلك لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه عندما ارسله الى اليمن ، ولمعاز بن جبل عندما ابقاه بمكة بعد فتحها ولابى عبيدة بن الجراح عندما بعث به الى نجران ، وقد سار الخلفاء الراشدين فى هذا الطريق عندما ارسلوا القراء والفقهاء والقضـاه الى الامصار .

والواقع ان التعليم النبوى كان ذا طبيعة دينية خالصة اما ماكان يختص بحيـاة الناس من اعمال وصناعات فقد كان خارجـا عن دائرة هذا التعليم وفى هذا المعـنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه " انتم اعلم بشئون دنياكم " كما يـرى الامام محمد عبده انه " ليس من وظائف الرسل ماهو عمل المدرسين ومعلمـى الصناعات .

وقد ادى التوسع فى الفتوح الاسلامية شرقا وغربا وانتشار الدين شمالا وشرقا وزيادة الاقبال على تعلمه ومعرفة احكامه واتقان لغته ، وكثرة صنوف المتعلمين ، الى ظهور عناصر بارزة منهم كونت طبقة من المعلمين المحترفين كان اكثرهم من الموالى واهـــل الذمة ، لم يتحرجوا ان يأخذوا اجرا على تعليمهم بل جعلوا من التعليم وظيفة مربحة وقد انتشروا فى المساجد حتى كانت تعج بالعشرات منهم كل فى موضع اختصاصه وهو ما يعد بداية مرحلة الاحتراف ، وان كان احتراف التعليم فى مجال تعليم الصغار اسبق بكثير من احتراف التعليم العالى الموجه الى الكبار ، فلقد كان التعليم بالكتاب ظاهرة مألوفة فى المجتمع الاسلامى بالمدينة منذ عصر مبكر ، ولم يكد ينقضى القرن الاول الهجرى حتى كانت الكتاتيب خلايا منتشرة فى البقاع الاسلامية تقدم خدمتها التعليمية التى اصبحت ضرورة حياة ، حتى ان ابن مسعود قال " لابد للناس من معلم يعلم اولادهم ويأخذ على ذلك اجرا ولولا ذلك لكان الناس اميين ·

وقد اصبح تعليم الصغار صناعة ينهض بها نفر من المحترفين او المتخصصـــــين وقد كونوا ثلاث جماعات متميزة من حيث الحجم الكمى والمركز المهنى ، ومستوى الثقافة العلمية هم المؤدبون ، ومعلموا القصور والبيوت ، ومعلموا الكتاب ، وقد كـــون معلموا الكتاتيب الاغلبية الساحقة الذين على ايديهم انتشر تعليم الصغار ، ولم يكـن معلم الكتاب يعد اعدادا مهنيا بل كان يتلقى معلوماته التى كان يعتقد انها ضروريـــة لممارسة مهنة التعليم عن طريق اتصاله بالشيخ ، كما لم تكن ثقافته غزيرة اذ لم يتزود من العلم الا بالقليل حيث لايحتاج فى عمله فى الكتاب الا الى حفظ القـرآن الكريـم

والالمام ببعض النحو فمن حصل ذلك ووجد فى نفسه القدرة على القيام بتعليم الصبيـــان قام بذلك من تلقاء نفسه حيث لم يكن هناك من القوانين او القواعد او اللوائح مايقتضـــى حصول المعلم على اجازة ، للقيام بهذا العمل ويبدو ان المجتمع الاسلامى فـــــــــى غالبيته كان ينظر للغالبية العظمى من معلمى الكتاتيب نظرة لاتتسم بالتقدير والاحترام فى اغلب العصور الاسلامية رغم تقدير الاسلام للعلم والتعليم ورغـــم عناية المجتمـــع بالمعلم وبمهنة التعليم .

- المـــــراجـــع -

١- أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية - النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٦.

٢- زغلول راغب النجار: أزمة التعليم المعاصرة و حلولها الاسلاميـة المعهد العالى للفكر الاسلامى - مكه المكرمة ١٩٩٠م .

٣- سعيد اسماعيل على : دراسات فى التربية الاسلامية - عالم الكتب القاهرة القاهرة ١٩٨٢م.

٤- ــــــــــ : تاريخ التربية و التعليم فى مصر - عالم الكتـــب القاهرة ١٩٨٥م.

٥- ــــــــــ : معاهد التربية الاسلامية - عالم الكتب القاهرة ١٩٨٦م.

٦- ــــــــــ : رؤية اسلامية لقضايا تربوية - دار الفكر العربـــى القاهرة - ١٩٩٣م.

٧- ــــــــــ : رؤية اسلامية معاصرة للمسألة التعليمية - مجلـة الوعى الاسلامى - العدد (٣٣٠) وزارة الأوقاف والشئون الدينية - الكويت - أغسطس ١٩٩٣م.

٨- سليمان الخطيب : فلسفة الحضارة عند مالك بن بنى ، رؤية اسلامية في ضوء الواقع المعاصر - المعهد العالى للفكر الاسلامي- بيروت . ١٩٩٣م .

٩- فتحية عمر رفاعى الحلوانى : دراسة نافذه لاساليب التربية المعاصرة فى ضوء الاسلام - تهامة - جدة ١٩٨٣م.

١٠- عبد الستار ابو غدة : رعاية المعوقين فى الاسلام - المسلم المعاصر العدد ٣٤١ بيروت فبراير ١٩٨٣م.

١١- عبد الفتاح جلال : من الاصول التربوية فى الاسلام - المركز الأولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى سرس الليان ١٩٧٧م.

١٢- عبد الغنى عبوده :فى التربية الاسلامية - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٧٧م.

١٣- عبد الغنى عبود : دراسة مقارنه لتاريخ التربية - دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٨م.

١٤- ـــــــ : فلسفة التعليم الابتدائى و تطبيقاته - دار الفكر العربى القاهرة ١٩٨٢م.

١٥- عرفات عبد العزيز سليمان : المعلم و التربية - دراسة تحليلية - مقارنه لطبيعة المهنه - مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٧م.

١٦- محمد قطب : منهج التربية الاسلاميه - دار القلم - القاهرة د. ت

١٧- محمد على الصابونى : صفوة التفاسير - دار الرشيد - حلب د . ت .

١٨- محمد منير مرسى : أصول التربية - عالم الكتب - القاهرة ١٩٨٤م.

١٩- محمود قمبر : مهنة التعليم فى التراث العربى و انعكاساتها فى التعليم المعاصر - مؤتمر اعداد و تدريب المعلم العربى - المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم القاهرة ١٩٧٣م.

٢٠- معجم الفاظ القرآن الكريم : ح ٢ - الهيئة المصرية العامه للكتاب القاهرة ١٩٧٢م.

الفصـــــل الثانـــــــى

=============

الاسرة و دورها التربوى من منظور اسلامــى

- مقدمـــــــة :

- مبررات الاهتمـــــام بالاسرة كمؤسسة تربوية :

١- أهمية الأباء و الأمهات فى حياة الأبناء

٢- تضاءل دور المدرسة فى عملية التربية

٣- الانفجـار المعرفى و التكنولوجـــى

٤- التحديات و الظروف المحلية و العالمية .

- الدور التربوى للاسرة من منظور اســـلامى

- مراجـــع الفصــــــل

الأسرة و دورها التربوى من منظور اسلامى

مقدمـــــة :

تعتبر الاسرة أول موسسة تربوية من موسسات التنشئة الاجتماعية و هى لهذا تعتبر على درجة عالية من الأهمية الدلالة، فهى تتسلم الطفل فى مرحلة من المرونة لن تتكرر فى اية مرحلة من مراحل نمو الطفـــل و فى هذا المعنى يقول الامام على كرمد الله وجهه " انما قلب الحـدث كالارض الخاوية ما القى شيئا الا قبلته" كذلك تتولى الاسرة الطفل لفتـــرة زمنية طويلة ، صحيح أن الأطفال عندما يكبرون يقضون أوقاتاأطول بعيـــدا عن الاسرة ، الا انهم و حتى سن ١٨ يقضون جزءًا من وقتهم اليومـــــى داخل الأسرة

و يتعرض الطفل داخل الاسرة لعملية تعلم متنوعة وواسعة ، و يتعرضون لمشاعر اساسية مثل الحب و الحزن و الغضب ، بل و يتعلمون الكيفيـــة التى يعبرون بها عن هذه المشاعر أو كبتها .

و اذا كان للاسرة هذه الأهمية التربوية ، و اذا كان المربون يوكـــدون على أن الأسرة تعد من أهم الموسسات التربوية التى يتعرض لها الفردبصفة عامة و الطفل بصفة خاصة فان الأمر يتطلب ضرورة أن يكون الوالـــدان أو المعلمون على دراية ووعى بالمتطلبات التربوية اللازمة لنجاح الأسرة فـــى

دورها التربوى ، و ان يكونوا على وعى بمتطلبات التوجيه السديد و التهذيب المستمر ، خاصة مع ظهور العديد من المبررات للاهتمام بها كأحد أهم المؤسسات التربويةفى الوقت الحالى .

مبررات الاهتمام بالاسرة كمؤسسة تربوية :ـ

هناك مجموعة من العوامل و الظواهر تبرز دور الاسرة كمؤسسة تربوية و تتمثل هذه العوامل فيما يلى :ـ

أـ أهمية دور الآباء و الامهات فى حياة الابناء:

فالاباء دور هام فى حياة ابناءهم فهما أكثر الناس تأثيرا فى الطفل و تشكيله بالصورة التى سيبقى عليها مدى حياته ، فهما يضعا البذورالأولى لتنمية الفرد فى جميع نواحى التربية ، الجسمية ، و العقلية و الاجتماعية و الوجدانية و الجنسية ، و من هذا تأتى أهمية و حاجة الوالدين الى فهم اساليب التربية السليمة و الصحيحة فى تربية الابناء ، و لقد أوصت دراسات علمية عديدة انطلاقا من ذلك بضرورة الاهتمام بتدريس التربية الاسرية لطلاب المرحلة الجامعية باعتبارهم اباء و امهات المستقبل لتبصيرهم بالادوارالمختلفة لاولياء الأمور فى تربية الابناء و تكون وعى اسرى تربوى لديهم .

و الواقع أنه على الرغم من التغيرات التى طرأت على حياة الاسرة مما جعل ميزان الثقل التربوى ينتقل الى المدرسة فان البيت مـا زال يمثل أهم المؤسسات التربوية التى لها اثرا عميقا و قويا فى حياة الفرد الحاضرة و المستقبلية ، فالبيت يتولى رعاية و تهذيبه فى احرج الفترات و اعمقها آثارا فى بناء شخصيته و تكوين اتجاهاته و قيمه و افكاره فى كل ميدان و تشكيل حياته بصفة عامة ، كما أن البيت هو الذى يســرع بتدارك الانحرافات و الشذوذ السلوكى فى الفترة المبكرة من حياة الفرد قبل ان تستفحل و تتشعب جذورها فتستعصى على الاقتلاع ، و قد قــرر بينجامين بلوم " ان الاهمية الكبرى للبيئة الاسرية بالنسبة للطفولة المبكرة ترجع الى ثلاثة عوامل :-

١- النمو السريع للصفات المختارة فى السن المبكرة و التأثير القــوى للبيئــة .

٢- بناء سمات الشخصية فى مراحل العمر المتأخرة على ما تكون فيها من المراحل الاولى طبقا لما هو معروف عن تطور طبيعة الانسان .

٣- ان التعليم المبكر اكثر سهولة من المتأخر .

ب - تضاؤل دور المدرسة فى عملية التربية و تركيزها فقط على الجوانب المعرفية :

ان الدارس لواقع المدارس فى مصر يجد انها تركز بصورة اساسية الجانب المعرفى و كم المعلومات سواء فى المقررات أو طرق التدريس و طرق التقويم ، فمعظم طرق التعليم لدينا تعتمد على اساليب التلقين و التحفيظ و اعتبار المدرس و المقرر هما المصدر الاساسى بل الوحيد للحصول على المادة المعرفية . و فى ذلك يشير سعيد اسماعيل على " من المؤسف ان نسجل ان المدرسة اليوم قد تخلت تماما عن مهمة التربية ، نتيجة لذلك التأكل فى اليوم المدرسى ، و ندرة الانشطة المدرسية و ارتفاع كثافة الفصل و التكدس فى المناهج و المقررات ، مما يلقى العبء على الاسرة لتعود مرة اخرى لتحمل هذه المسئولية " و يضيف الى ذلك فيقول " و الاكثر من ذلك ان مدارس اليوم حتى بالنسبة لمهمة التعليم قد اصبحت مقصرة فيه الى حد كبير ، مما يلجئ الاسرة المصرية الى تعويض ذلك بالدروس الخصوصية التى تستنزف قدرا كبيرا من المال " و الاسرة من خلال الام المتعلمه المتفرغة بعض الوقت - تستطيع ان تساعد الى حد كبير فى القيام بهذه المهمة فى البيت ، و يعتبر هذا دخلا غير مباشر عن طريق تجنيب الاسرة مزيدا من الانفاق فى الدروس الخصوصية ، ومثل هذه المهمة تزيد من الحاجة الى التربية الاسرية ، من خلال دراسة افراد

افراد الاسرة لبعض العلوم التربوية .

ج - الانفجار المعرفى و الاعلامى :

لا يختلف اثنان على اننا فى عصر ثورة المعلومات و تسارع المعارف و هذا يعنى ان المعارف و النظريات الحالية يمكن ان تتعدل او تسقط و يحل محلها نقيضها فى ظرف سنوات ، و فى ذلك يشير احد المفكرين الى انه اذا قدرنا سرعة الايقاع التى تتضخم بها المعارف بميزان الوقت الحاضر ، فاننا نجد ان الطفل الذى يولد اليوم سوف يواجه حينما يبلغ أربعة و عشرون سنه من المعارف ما يبلغ اربعة اضعاف ما هو متوافر لدينا اليوم و حينما يبلغ سن الخمسين سوف تكون هذه المعارف قد تضاعفت اثنين و ثلاثين مرة . و هذا الوضع المعرفى سيترتب عليه عدة نتائج هامة ، منها ان العملية التعليمية ستصبح مستمرة و سيصبح حياة الشخص سلسلة متعاقبة من الدراسة و العمل و التدريب و اعادة التدريب كما ان هذا الانفجار المعرفى يفرض على الوالدين مسئوليات عديدة تتعلق بالاجابة على تساؤلات اطفالهم ذلك الاسرة .

ومما تجدر بالاشارة اليه ان من اهم عناصر تسارع المعلومات والمعارف تطوير تكنولوجيا المعلومات متمثلا فى الامكانات النهائية فى تخـــزيـــــن المعلومات ، والقدرة العالية على استرجاع هذه المعلومات بسرعة فائقة هذا التطور التكنولوجى فى مجال المعلومات سوف يقود الى ان يحل البيت محل المدرسة فى كثير من عمليات الاستيعاب ، سيصبح فى امكان التلميذ انيدرس الموضوع الذى يهمه و هو جالس امام شاشة الكمبيوتر فى بيته و يستطيـــع تأدية الامتحان الذى يهمه و هو جالس امام شاشة الكمبيوتر فى بيته ايضـا و لعل ذلك يلقى مسئوليات عديدة على الوالدين فى الاسرة يبرز دورهـــــا الهام فى عملية التربية ، الامر الذى يستلزم به ضرورة الاهتمام بالتربيـــة الاسرية و تبرر تدريسها فى كليات اعداد المعلمين .

د - التحديات و الظروف العالمية و المحلية و انعكاسها على الاسرة :

و تتمثل هذه التحديات فيما يطلق عليه البعض " الطموحات الكبيرة" و التى غالبا ما تكون غير متناسبة مع الامكانات المتاحه وزيادة الطلــب على التعليم ، و ليس اى تعليم و انما التعليم التكنولوجى و الفنى البعد عن اللفظية . هذه التحديات تفرض على الاسرة مسئوليات عديدة تستوجــب الاهتمام بانماط تربيتها .

الدور التربوى للاسرة من منظور اسلامـــى

الاسرة من المنظور الاسلامى - هى البيئة التى يتشرب منها الابناء قيمهم و معاييرهم و نظرتهم فى الحياة فمن الاسرة يأخذ الطفل دينه فيظل على فطرته مسلما أو يعتنق المسيحية ، أو اليهودية أو المجوسية و لن يكون هذا و ذلك الا بناء على تعليم الابوين و توجيههما ، و فى هذا روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال " ما من مولود الا و يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"

و فى الاسرة يجد فى الام الحضن الذى يأوى اليه فيشعر بالامـــــن و الحنان و الحب ، و فى الاب يجد المثل و الوقاية و المنقذ ، و فى الاخواه و الاخوات يجد تلاميذ مدرسة الاسرة الذين يأخذ عنهم ما يحصله من الوالدين ، و لذلك احاط الاسلام الاسرة بعناية فائقة فهى فى الاسلام آيات الله قرن تكوينها بتكوين العالم اجمع و فى ذلك يقول الحق تبارك و تعالى " و من آياته ان خلق لك من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها... الروم آية ٢١

ثم قال " و من آياته خلق السموات و الارض و اختلاف السنتكم و الوانكم آية ٢٢ .

و فى الفقه الاسلامى كلام طويل عن نظامها ورسالتها ، فهناك كلام كثير عن كيفية تكوينها (الزواج) و تبادل الواجبات بين اطرافهـــا حضانة الاولاد و اسلوب النفقة و آداب العشرة) و آثارها الروحيـــة و الخلقية ، باعتبارها امتداد للنوع الانسانى و للعقائد و العبادات و الاخلاق التى أمر بها الاسلام و قام عليها .

و لقد اكد الاسلام على ان تربية الابناء من مسئوليات الابوين بحكـم واجب الرعاية مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم " كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع و مسئول عن رعيته ، و الرجل راع فى اهله و مسئول عن رعيته ،و المرأة راعية فى بيت زوجها و مسئولة عن رعيتها ، و الخادم راع فى مال سيده و مسئول عن رعيته ، فكلكم راع ز مسئول عن رعيته " متفق عليه .

فالاطفال او الابناء يمثلون رعية الاب و الام و سيسئل كل منهما عـن تلك الرعية فاما يحفظها و اما يضيعها ، و لذلك فمن حق الابناء علـى ابائهم حق التربية و التعليم ، فهذارسول الله صلى الله عليه و سلميوجه المسلمين الى تربية ابنائهم و فق منهج الله فيقول " ادبوا اولادكم علـى ثلاث خصال حب نبيكم و حب آل بيته و تلاوة القرآن " و قال ايضـــا " لأن يؤدب الرجل و لده او احدكم ولده خير له من ان يتصدق كل يوم بنصف صاغ "

كما امر الرسول بحسن ادبهم و تربيتهم و فى ذلك يروى ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال " الزموا اولادكم و احسنوا أدبهم " و قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه ابن ماجة " ادبوا أولادكم و احسنوا ادبهم " و فيما رواه مسلم و النسائى " علموا اولادكم و اهليكم الخير و ادبوهم " و يقول ايضا " مروا اولادكم بامتثال الاوامر و اجتناب النواهى فذلك وقاية لهم من النار " رواه ابن جرير وابن المنذر .

و تربية الابناء و تنشئتهم - من المنظور الاسلامى - على الحق و الهدى و اثمن و أغلى ما يورثه لهم آباؤهم ، بل ان ذلك ابقى و انفع لهم من المال الزائل ، و الذى قد يكون سببا من اسباب الفساد و فى ذلك يقول الامام على كرم الله وجهه " ثلاثة هى افضل ما يورثه الآباء للابناء الثناء الحسن و الادب الصالح و الاخوان الثقات " .

و قد اعطى الرسول صلى الله عليه و سلم فى تعليم الاولاد امثلة عملية فى مواقف عديدة منها ما روى عن عمر بن ابى سلمة انه قال " كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و كانت يدى تطيش فى الصفحة فقال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم " يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك و كل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتى بعد "

و التربية فى محيط الاسرة تقوم على عدة مبادئ أكد عليها الاسلام ، من هذه المبادئ العطف و الحنان ، فقد أكد الرسول صلى الله عليه و سلم ان حنان الوالدين و عطفهما و حنوهما على الأطفال هو حجر الزاوية فـــى تربيتهم ، فعن ابى قتاده ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يصلـى و هو حامل امامه بنت زينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى اللـه عليه و سلم وهى لابى العاص بن الربيع فاذا سجد وضعها ، و اذا قام حملها و عن اسامه بن زيد رضى الله عنهما قال " كان رسول الله صلى اللهعليهوسلم يأخذنى فيقعدنى على فخذه و يقعد الحسن على فخذه الآخر ، ثم يضمنا ثم يقول " اللهم ارحمهما فانى ارحمهما " . و عن ابى قتاده رضى الله عنه عـــن النبى صلى الله عليه و سلم قال " انى لاقوم فى الصلاة اريد ان اطول فيهـــا فأسمع بكاء الطفل فأتجوز فى صلاتى كراهية ان اشق على امه " فالرسول يختصر القراءة فى الصلاة و لا يطيل اذا سمع بكاء طفل مع ان الصلاة حبيبة الى و قرة عينه ، فقد روى انه صلى الله عليه و سلم فى احدى الصلوات قرأفى الركعـــة الاولى نحو ستين آية ، فسمع بكاء طفل فقرأفى الركعة الثانية ثلاث آيات، و قد بلغ عطف الرسول عليه الصلاة و السلام على الاطفال انه انذر من لا يلاطـــف الأطفال و لا يقبلهم بأنه لن يرحم يوم القيامة .

فعن ابى هريرة رضى الله عنه قال ان الاقرع بن حابس ابصر النبى صلى الله عليه و سلم يقبل الحسن فقال ان لى عشرة من الولد مـــا قبلت واحدا منهم فقال صلى الله عليه و سلم ان من " لا يرحم لا يرحم" صحيح البخارى . و عن عائشة رضى الله عنها قالت " جاء اعرابـــى الى النبى صلى الله عليه و سلم فقال " اتقبلون الصبيان ؟ فقال النبى صلى الله عليه و سلم أو أملك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة " .

و من المبادئ التى اكد عليها الاسلام فى التربية الاسرية العدل بين الابناء ، لما له من اثر هام و ثمار طيبة فى التربية و النشأة ، فالقرآن يؤكد العدل على الاطلاق حتى لو كان على النفس ، يقول الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء للـه و لو على انفسكم او الوالدين و الاقربين " النساء ١٣٥ .

كما أكدت السنة المطهرة على ضرورة العدل بين الاولاد فى مواقف متعددة فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليهو سلـم سووا بين اولاد كم و لو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء " اخرجه الطبرانـــى و البيهقى .

و عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال " اعطانى ابى عطيهفقـال أمى : عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليهوسلـم

فقال " انى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى ان أشهدك يا رسول الله ، قال : اعطيت سائر و لدك مثل هذا ؟ قال لا ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم ، اتقوا الله و اعدلوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطيته " رواه البخارى .

و فى رواية مسلم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " يامبشير ألك ولد سوى هذا قال نعم ، فقال أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال لا قال : فلا تشهدنى اذا ، فانى لا أشهد على جوز" .

بل ان الرسول يأمر بالعدل بين الابناء حتى فى القبل و فى ذلك قوله صلى الله عليه و سلم " اعدوا بين ابنائكم و لو فى القبل "

كذلك يعد جانب القدوة فى تنشئة الطفل و توجيهه من الجوانب الهامة فى عملية التربية الاسرية ، فالدوة فى الاب و فى الام هى أول ما يقع عليه نظر الطفل قبل توجهه الى الشارع او المدرسة او المسجد ، القدوة فى أعمالها و فى اقوالها و سلوكها ، فتنشئة الطفل على فضيلة الصدق مثلا لا بد ان تبدأبالسلوك و القدوة من الابوين قبل ان يوجهاه ، او يرشداه اليها و لذلك حذر الرسول الام و هى تحاول اسكات طفلها عن البكاء مثلا اوترغبه فى شئ او امر ان تلجأالى ان تقول لاطفالها كذبا فيتعودوا على ذلك .

فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " من قال لصبى هاك (أى أقبل و خذ شيئا يعده به) ثم لم يعطيه فهى كذبة " .

و عن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال : دعتنى امى يوما و رسول الله صلى الله عليه و سلم قاعد فى بيتنا ، فقال تعالى اعطك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أردت ان تعطيه ؟ قالت اردت ان اعطيه تمرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم " اما انك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبه" .

و الواقع ان توفير جانب القدوة فى محيط الاسرة يقتضى من جميع افرادها ان يكون سلوكهم مطابقا لاقوالهم و توجيهاتهم ، و الا يأمر احدهم بشئ و يأتى بغيره او بشئ آخر مناقض له ، و فى ذلك يقول الحق تبارك و تعالى متعجبا " أتأمرون الناس بالبر و تنسون انفسكم .....البقرة آية ٤٤ .

و يقول الرسول صلى الله عليه و سلم مؤكدا على اهمية ان يكون عملنا مطابقا لعلمنا " أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان ، رجل علم علما فيرى غيره يدخل الجنة بعلمه لعمله به ، و هو يدخل به النار لتضييعه العمل به ورجل جمع المال من غير وجهه و تركه لوارثه ، فعمل به الخير فيرى غيره يدخل به الجنه و هو يدخل النار .

و فى ذلك ايضا لا بد ان نذكر قول الشاعـــر "

يا أيهاالرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام و ذى الضنا كيما يصح به و انت سقيم

ودراك تصلح بالرشاد عقولنا ابدا ، و انت من الرشادعديم

لاتنه عنخلق و تأتى مثلـه عار عليك اذا فعلت عظيم

ابدأبنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهيت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل|ان وعظت ويفتدى بالقول منك و ينفع التعليـم

مراجـــع الفصل الثانـــى

١- احمد عمر هاشم: الطفولة فى الاسلام- بحوث موتمر الطفولة فى الاسلام المجلد الاول كلية الدراسات الانسانية جامعة الازهر -١٩٩٠

٢- جمال على الدهشان : محاضرات فى تاريخ التربية و التعليم - مطابـــع الولاء الحديثة - شبين الكوم ١٩٩٤

٣- سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية و التعليم فى مصر - عالم الكتب القاهرة ١٩٨٥

٤- فرغلى جاد احمد: مدى تعاون الآباء مع المدرسة الابتدائية فى المملكـــة العربية السعودية من وجهة نظر المديرين دراســـة ميدانية - مجلة كلية التربية - جامعة اسيوط - العدد العاشر - المجلد الثانى - يونيه ١٩٩٤

٥- محمد احمد شوقى: اهم اسس تربية الطفل تربية اسلامية و تطبيقاتهـــا بحوث موتمر الطفولة فى الاسلام - المجلد الأول - كلية الدراسات الانسانية - جامعة الازهر - ١٩٩٠

٦- محمد على محجوب : الاسرة و احكامها فى الشريعة الاسلامية - دار الحرية القاهرة ١٩٩٣.

الفصـــــل الثالـــــــث

=================

"دراسة عـــن"
تعليم المرأة من منظـــور اسلامـــى

- مقدمـــــة
- مشكلـــة الدراسة و تساؤلاتها
- أهميـــة الدراســـة
- خطوات الدراســـة :

أولا: مكانة المرأة فى المجتمع من منظور اسلامـى

ثانيا: شواهد وجوب تعليم المرأ ة من منظور اسلامى

ثالثا: مظاهر الاهتمام بتعليم المرأة فى المجتمـــع الاسلامى الأول.

رابعا: ما يجب أن تتعلمه المرأة من منظور اسلامى

- المـــراجـع

تعليم المرأة من منظور اسلامـــي

مقدمـــــة :-

شغلت قضايا المرأة وأوضاعها وشئونها وما تؤديه مــن ادوار في المجتمع اهتمام الكتاب والمفكرين والباحثين فــي معظم المجتمعات - وقد تعددت الرؤى والمذاهب حول هـــــذه القضايا تبعا لتعدد التصورات العقدية والرصيد الثقافــــي لاصحاب هذه الرؤى والمذاهب - ولعل أوضح دليل علي ذلــــك الاهتمام ما شهده القرن الحالي من مؤتمرات وحلقات وندوات - لمناقشة هذه القضايا وتوجيه اهتمام دول العالم اليها - وما عبرت عنه الامم المتحدة باعتبار الفترة من عام ١٩٧٦ حتي عام ١٩٨٥ عقدا دوليا للمرأه بدلا من الاكتفاء بتخصيص سنــــة دولية واحدة فقط لقضية المرأة - كعادتها عند الاحتفـــــال بموضوع معين علي مستوى العالم - فقضية المرأة ليست قضية خاصة بالنساء فقط ، بل هي قضية الرجل والمرأة علي الســواء، أو هي قضية المجتمع بأكمله (١)، فالمرأة نصف المجتمع ،وتعتبر مسؤولة عن تربية النصف الآخر ، وهي بالتالي تمثل كــــــل المجتمع نصفه بالاصالة ، ونصفه الاخر بالوكالة .(٢)

واذا كانت المرأة تمثل كل المجتمع باعتبارها شريكــة الرجل ورفيقته ، ومعاونة له علي النجاح وأداء رسالته فــي المجتمع ، وباعتبارها مسئولة عن تربية الاجيال الناشئـــــة

، فإن اتاحة فرص التعليم امامها ، وإعداد البرامج لتدريبها ورفع كفايتها ، يعد امرا ضروريا ، فالتعليم بالنسبة للمرأة يعد ضرورة انسانية ، يساعدها علي تحقيق ذاتها واثراء حياتها الثقافية والاجتماعية وتأديه واجباتها تجاه ربها واسرتها ومجتمعها علي نحو مرض ، وبشكل يوءدى الي رقي المجتمع وتنميته ، والتعليم يمكن أن يساعد المرأة - كما يرى المودودى - علي أن تكون زوجة مثالية وأما روءوما وربة بيت مدبرة ، ومواطنة ذات عقل وفكر مستنير ، وأخلاق فاضلة(٣) ، بل أن قاسم أمين يذهب الي أن المرأه لا يمكنها ان تدبر منزلها أو تقوم بوظيفتها في الهيئة الاجتماعية وفي العائلة ، الا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والادبية(٤) ، ولذلك فإصلاح المجتمع وتطويره يتوقف الي حد كبير عن حسن تربية بناته أكثر من توقفه علي اصلاح وحسن تربية أبنائه، لان تعليم الرجل يعتبر تعليما فرديا بينما يعتبر تعليم المرأة تعليما للاسرة بأكملها ، وللمجتمع ككل ، فوظيفة المرأة في المجتمع أبلغ أثرا في تنشئة الاجيال من الجنسين ، ومن الصعب أن يرقي المجتمع مادام نصفه (المرأة) الذى يقوم بالتربية المنزلية معطلا وجاهلا(٥).

ومما يزيد من ضرورة التعليم للمرأة لكي تحسن تربية أبنائها ، أن المدرسة لم تعد مستقلة عن الحياة المنزلية

، ولم تعد العملية التعليمية في حد ذاتها قاصرة علي المبني المدرسي ، حيث الاطفال يمكن أن يتعلموا في كل مكان (كالمنزل)، بل أن جزءا كبيرا من العملية التربوية يقع علي عاتق الام ، باعتبارها أهم معلم خاصة في مراحل حياتهم الاولي(٦)، ومن الصعب أن يعش الاطفال في بيئتين منفصلتين تمام الانفصال بيئة المدرسة والمعرفة ، وبيئة البيت والجهل (اذا كانت الام غير متعلمة) ، ان تلك الانفصالية يمكن أن يكون لها آثار سيئة علي الابناء ، في وقت يجب أن تتضافر جهود البيت والمدرسه تعاونا من أجل أجيال أفضل ، خاصه في ظل ما يشهده العصر الحالي من التقدم العلمي والتكنولوجي والانفجار المعرفي ، وثورة الاتصال الحديثة (٧).

وعلي الرغم من أهمية وضرورة تعليم المرأة فان واقع تعليمها في مصر والدول العربية يشير الي أن المرأة لم تأخذ بعد فرصتها الكاملة في التربية والتعليم ، وأن تعليم البنات – رغم الجهود المبذولة في هذا المجال ، والتي تشير الي الاهتمام الملموس في التوسع في تعليم الاناث وتدريبهم ، ووضع البرامج لمحو اميتهن – ما زال متأخرا ،فنسبة الامية بين النساء العربيات تصل في المتوسط الي ٧٠ ٪ لمن هن فوق الخامسة عشرة ، وهو رقم متوسط يتوارى خلفه كل

ما تخبئه الارقام المتوسطة ، فنسبة الامية بين النساء تتراوح في الاقطار العربية بين حدها الادني ٣٥ ٪ ، وتقع كفة الحد الاقصي في موقع الرجحان ، في حين تصل هذه النسبة علي مستوى العالم ٣٤ ٪ فقط ، كما أن نسبه الالتحاق بالنسبة للاطفال في فئة العمر من (٦-١١سنة) تصل في المتوسط الي ١٥ر١ ٪ بالنسبة للاناث ، ٨٢ ٪ بالنسبة للذكور ، وبلغت النسبة لفئة العمر من (١٢-١٧سنه) ٤٢ر٤ ٪ بالنسبه للاناث ، ٥٩ر٦ ٪ بالنسبه للذكور وفقا لاحصاءات اليونسكو الصادرة عام ١٩٨٦[٨].

أما بالنسبة لمصر فالجدول التالي يوضح الحالة التعليمية للنساء في سن عشر سنوات ومافوق .

جدول رقم (١)
يوضح توزيع النساء (١٠سنوات فأكثر) وفقا لحالة التعليم
خلال الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٨٦ (٩)

الحالة التعليمية / السنة	أمية	تقرأ وتكتب	تعليم متوسط	تعليم جامعى
تعداد ١٩٦٠	٨٤ر٣	١٣ر٢	٢ر٣	٠ر٢
تعداد ١٩٦٦	٧٨ر٩	١٧ر٣	٣ر٤	٠ر٣
تعداد ١٩٧٦	٧٠ر٩	٢٤ر٢	٣ر٩	١ر٠
تعداد ١٩٨٦	٦١ر٧٢	٢٧ر٣٢	٩ر٣٤	١ر٦٢

تشير الارقام الواردة في الجدول رقم (١) الي أنه علي الرغم من اتجاه نسبة الامية بين النساء ، الي الانخفاض من ٨٤٫٣ ٪ عام ١٩٦٠ الي نحو ٧١ ٪ عام ١٩٧٦، والي نحو ٦١ ٪ في عام ١٩٨٦ ، فان النسبة ما تزال مرتفعه بالمقارنة بما هو عليه الحال في الدول المتقدمة ،أو بين الذكور في مصر ، وبالنظر الي مرور ما يزيد علي ربع قرن من الزمان علي تقرير مجانية التعليم في مصر .

كما يشير الجدول الي تضاؤل نسبة الحاصلات علي تعليم متوسط ، وعلي تعليم جامعي الي اجمالي عدد النساء في مصر رغم الاتجاه التصاعدى لتلك النسب منذ عام ١٩٧٦ ، واذا ماحاولنا الربط بين تلك النسب من ناحية ونسبة اللائي يقرأن ويكتبن من ناحيه أخرى ، فاننا نستطيع القول بأن ارتفاع النسبة الاخيرة عن النسبة الاولي يعكس ارتفاع نسبة التسرب أوعدم تكملة التعليم بمختلف مراحله حتي النهاية .

أما بالنسبة لمعدلات الالتحاق بالمدارس فان الدراسات تشير الي أن نسبه القيد بين الاناث مازالت منخفضه في المرحلة الابتدائية ، وتزداد هذه النسبه انخفاضا كلما تقدمت المرحلة التعليمية ، فاعداد هائلة من البنات في سن التعليم هن خارج المدارس ، خاصة في المناطق الريفية

والمناطق الحضرية والشعبية ، وفي المناطق الصحراوية النائية • فقد اشارت احدى الدراسات المسحية التي أجراها المركز القومي للبحوث التربوية عن نسب الاستيعاب في بعض المناطق الريفية والمناطق الحضرية الشعبية بجمهورية مصر العربية ، الي أن نسب الالتحاق بالمدارس - في المراحل المختلفة (حضانة - ابتدائي - اعدادى) بالنسبة للاطفال في فئة العمر من (٥ - أقل من ١٦ سنه) - مرتفعة في الذكور بدرجة كبيرة علي الاناث ، حيث بلغت نسبه الالتحاق في الذكور ٢ر٩٢ ٪ في الحضر ، ٥ر٤٩ ٪ في الريف ، وان نسبة الالتحاق لجملة الريف والحضر ٣ر٦٧ ٪ بالنسبة للذكور، وبلغت نسبة الالتحاق في الاناث ٤ر٨٢ ٪ في الحضر ، ٩ر١٤٪ في الريف ، ٩ر٣٨ ٪ بالنسبة لجملة الريف والحضر.(١٠)

ففي هذه المناطق الريفية والحضرية الشعبية والصحراوية النائية ، نجد أسرا تحجب البنت عن الالتحاق بالتعليم ، واستكماله لعدم الايمان بضرورة تعليم المرأه ، ولتعطي فرصة لاخيها علي أساس أنه رجل المستقبل ورب اسرة جديدة ، وصاحب التزامات اقتصادية واجتماعية ، ولذلك فهم يبذلون جهدا لاستمرار الذكور في الدراسة لفترات أطول مما هو عليه بالنسبة للبنات حيث يعطي الولد فرصة أكبر لاعادة السنوات الدراسة - بخاصة الشهادات - لاستكمال تعليمه،

بينما قد لاتمنح نفس الفرصه لاخته ، فيفضل لها البقاء فــي المنزل لمساعدة الوالدين ،ثم زواجهن مبكرا ، كما أن بعـض أولياء الامور لا يرغبون في أن تلتحق بناتهم بكليات بعيـدة عنهم ، وازواجا كثيرين يرفضون ان تستكمل زوجاتهـــم أى دراسة عليا.(١١)

كما يشير محمد العوض جلال الدين في دراسته عن التمييز بين الذكور والاناث وانعكاساته علي وضع المرأه ودورهـــا في المجتمع ، الي أن التحيز في تعليم المرأة ليس فقـــط في اتاحة فرص متساوية من الناحية الكمية ، وانما أيضــا في الناحية النوعية والتخصصية ، فالواقع الاجتماعي والاسرى يفرض علي الفتاة أن تتجه الي دراسات معينة بحجة طبيعـــة العمل الذى يناسبها ، ويتوافق مع قيم المجتمع السائـــدة ، وبحجة تقسيم العمل حسب الاختلافات الجنسية ، ليس ذلـــك بسبب ميل طبيعي ومغروس لدى المرأة بقدرما هو أفـــراز لهذا الواقـــع .(١٢)

واذا كانت قضية المرأة قضية ثقافية واجتماعية فـــي المقام الاول(١٣)ـ فإن الامر يتطلب ضرورة العمل علي تعديـل الاتجاهات نحو تعليم المرأه ، أو بمعني آخر تغييــــــر الاتجاهات التي ترى عدم أهمية وضرورة تعليمها ، وبذل كافة

الجهود في مجال تعليمها ، واتاحة الفرصة أمامها للتثقيف والتعليم والمشاركة في تنمية المجتمع ، لما لكل ذلك من أهمية بالغة في زيادة فرص التعليم المتاحة للمرأة ، ودفع عجلة هذا التعليم للامام .

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :-

اذا كان الاسلام قد حث علي طلب العلم بصورة جادة ، وجعله فريضة وعبادة ، سواء أكان ذلك بالنسبه للرجال أم للنساء ، فإن قضية تعليم المرأه تعد من القضايا التي لازالت تفرض نفسها علي الفكر التربوى الاسلامي ، لانها لم تأخذ بعد موقعها ومكانها المناسب في البناء التربوى الاسلامي المعاصر ، فبعض دعاه الفكر الاسلامي المعاصرين لم يولوا عنايتهم بالفتاة بقدر عنايتهم بالفتي ، ولم يقدموا لها المنهج المناسب لاداء رسالتها في مجتمعها ، كما لايزال الكثير من جوانب هذه القضية محل أخذ ورد(١٤)، نظرا لاعتقاد البعض أن الاسلام قد فرض قيودا علي تعليم المرأه ، انطلاقا من دوافع الغيرة الشديدة عليها ، والتخوف من كل ما يحتمل فيه من مجال الغواية والانحراف ، فهم يقولون بتعليم المرأه القرآن الكريم والدين الاسلامي ليس غير ، وينهون عن تعليمها الكتابة والشعر ، وقد أورد الجاحظ هذا الرأى في كتابه البيان والتبين "لاتعلموا بناتكم الكتاب ،

لاترووهن الشعر ، وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سوره النور"،(١٥)
كما أشار القابسي الفقيه القيرواني في كتابه "الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين" الي ان تعليم الانثي القرآن والعلم حسن ومن مصالحها ، أما أن تعلم الترسل والشعر وما أشبه ، فهو مخوف عليها ، انما تُعلم ما يُرجي لها من صلاحه ، ويُوءمن عليها من فتنته ، وسلامتها من تعلم الخط انجي لها" (١٦)وذهب أبو الثناء الالوسي الي تحريم تعليم البنت الكتابة ، وقد ألف كتابا في هذا المعني سماه " الاصابة (أي وجه الصواب) في منع النساء من تعلم الكتابة ".(١٧)

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذا الاتجاه بصورة المختلفة ، ومستوياته المتعددة ، مازال متحركا داخل عقول أفراد وجماعات تتحفظ علي تعليم المرأة وحدوده ، وتثير العديد من الشبهات حول حقها في التعليم والعلم وحدوده محصنين أنفسهم بدروع من الشريعة والبيولوجيا وشواهد الحياة (١٨)، ولعل ذلك هو ما دعا الباحث الي القيام بهذه الدراسة محاولا من خلالها التعرف علي بعض جوانب هذه القضية من منظور اسلامي ، من خلال محاولة الاجابة علي التساوءلات التالية :

١ ـ ما مكانة المرأة في المجتمع من منظور اسلامي ؟

٢ ـ ما الشواهد التي يمكن أن تستدل منها علي وجوب تعليم المرأة من منظور اسلامي ؟

٣ - ما مظاهر الاهتمام بتعليم المرأة في المجتمع الاسلامي الاول ؟

٤ - ما الذى يجب ان تتعلمه المرأة من منظور اسلامي ؟

أهمية الدراسة :-

تكمن أهمية الدراسة في الاتي :-

١ - أنه علي الرغم من كثرة الدراسات والبحوث حول قضية المرأة عموما والمرأة المسلمة بوجه خاص ، فإن تعدد الروى والمذاهب حول هذه القضية - بتعدد الاتجاهات والتصورات العقدية والثقافات والانتماءات للدارسين يجعل الدراسات حول المرأة وقضاياها متجددة وحيوية ، ومطلبا ملحا في مختلف العصور والازمان .

٢ - أن موضوع تعليم المرأة له صلة وثيقة بتقدم المجتمع ونهضته ، فهو يزودها بالخبرات والتخصصات والمهارات المطلوبة في عمليات التنمية في المجتمع ، وحتي تتحمل مسئوليتها في المشاركة في صنع الحياة وايجابية هذا من ناحية ، ويساعدها علي حسن تربية ابنائها من ناحية أخرى ، وهو ما يوكد أهمية وضرورة طرح موضوع تعليم المرأة علي نطاق البحث .

٣ - اعتقاد البعض أن الاسلام قد فرض قيودا علي تعليم المرأه ، واثارة بعض الشبهات حول حقها في التعليم

والتعلم وحدوده ، معتمدين في ذلك علي ثقافة دينية أساسها ثقافة عصور الفرق التي ادخلت في الاسلام ماليس فيه ، وغاضة الطرف عن نصوص القرآن الكريم، وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم الصحيحة ، الامر الذى يتطلب ضرورة القاء الضوء علي المنظور الاسلامي لهذه القضية الهامة ، وتوضيح بعض الادلة والشواهد التي تزيل هذه الشبهات ، وتصحح تلك المعتقدات الخاطئة التي قد تعوق تقدم المجتمعات العربية والاسلامية المعاصرة ، وتسبب عددا من الازمات العقدية والاجتماعية المدمرة .

٤ – ان القاء الضوء علي المنظور الاسلامي لقضية تعليم المرأة ، يمكن أن يسهم في تغيير بعض المفاهيم التقليدية والخاطئة عن قصور المرأة وأدوارها بصفة عامة ، وتغيير اتجاهات الافراد نحو تعليم البنات ومحو أميتهن ، وزيادة فرص التعليم المتاحة لهن .

خطوات الدراسة :-

سارت خطه الدراسة وفق التساؤلات المطروحة والتي تم تحديدها آنفا ، ومن ثم سارت الخطة وفق الخطوات التالية :-

أولا : مكانة المرأة في المجتمع من منظور اسلامي :-

جاء التشريع الاسلامي تصحيحا لكل الاوضاع الجائرة التي سبقت ظهوره ، وتحديدا عادلا لمكانة المرأة في المجتمع ، حيث قضي علي مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة ، وكفل للمرأة مساواة تامة مع الرجل في كثير من شئون الحياة ولم يفرق بينهما ، الا حيث تدعو الي هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة المصلحة العامة للامة ، والحفاظ علي تماسك الاسرة واستقامة أحوالها ، بل ومنفعة المرأة ذاتها.

فمن الامور التي يركز عليها القرآن الكريم أن البشر جميعا متساوون في أصلهم وأن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ،فالبشر جميعا يجمعهم أصل واحد ، وينحدرون من رجل واحد فهم متساوون في الاصل والنشأه ، ومهما اختلفت بعد ذلك الاجناس والالوان فإنه اختلاف في الفروع ، اختلاف طارئ وليس أصلا(١٩). هذه الحقيقة نراها في آيات متعددة منها قوله تعالي "يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً "(٢٠). وشبيه بهذه الآية قوله تعالي " هُوَ الَّذى خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وجَعَلَ مِنهَا زَوجَها "(٢١). وقوله تعالي أيضا " وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِنْ نَفسٍ وَاحِدَةٍ فَمُستَقَرٌ وَمُستَودَعٌ قَدْ فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهُونَ "(٢٢).

وقد جاءت الاحاديث الشريفة فأكدت هذه الحقيقة وهي أن الرجل والمرأه من أصل واحد ، ومن هذه الاحاديث ما أخرجه الامام أحمد في مسنده ،وأبو داود والترمذى في سننهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " انما النساء شقائق الرجال "(٢٣).

ولان المرأه والرجل خلقا من نفس واحدة فقد شرع الاسلام المساواة بينهما فيما هو من خصائص الانسانية في الدنيا والآخرة ، فما يجب علي الرجل يجب علي المرأة ، وخطاب التكليف الاسلامي بأبعاده المتعددة جاء عاما للانسان كجنس بشرى فيه الرجل والمرأه علي السواء ، عقيدة وعبادة ، ومعاملة وأمرا ، ونهيا ، وحقوقا وواجبات ـ الامن بعض المساحات الخاصة التي ينفرد فيها الرجل ، أو تنفرد فيها المرأة ، حسب الطبيعة النوعية ، ومقتضيات الوظيفة الاجتماعية ـ وجعل الله ميزان الكرامة والفوز ، التقوى والعمل الصالح ، وليس الذكورة والانوثة ،لانها أمور قسرية ،لايد للانسان فيها(٢٤)، فالمفاضلة بين أى رجل وأية امرأة انما يقوم علي أمور أخرى خارجة عن طبيعتهما، وهي الامور المتعلقة بالكفاية ، والعلم ، ومكارم الاخلاق ، وما الي ذلك ، كما هو شأن المفاضلة بين الرجال أنفسهم بعضهم مع بعض،وان القوامة التي شرعها الله للرجال

" الرِجَالُ قَوّامُونَ عَلَي النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعضَهُم عَلَيٰ بَعضٍ وَبِمَا اَنفَقُواْ مِن أموَالِهِم " (٢٥)، هي في الحقيقة مسئولية اشراف واهلية قيادة وليست تشريفا ، فالرجل بحكم تخلصه من تكاليف الامومة يواجه أمور المجتمع لفترة أطول ويتهيأ لها بقواه الفكرية جميعا ، بينما تحتجز هذه التكاليف المرأة بعضا من أيامها . هذا الي جانب أنه المكلف بالانفاق، وللناحيه المالية صله قوية بالقوامة ، فهو حق مقابل تكليف ينتهي في حقيقته بالمساواة بين التكليف والحقوق في محيط الجنسين ومحيط الحياة .(٢٦)

فالمرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، وهي لاتقل في مطلق المسئولية عن مسئولية الرجل ، وان منزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة شأنها في ذلك الرجل ، والآيات القرآنية الدالة علي ذلك كثيرة منها قوله تعالي " إنّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ وَالمُؤمِنينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصَدّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّائِمِينَ وَالصّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَالحَافِظَاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أعَدَّ اللّهُ لَهُم مَّغفِرَةً وأجراً عَظِيماً " (٢٧) هذه الاية الكريمة اشتملت علي عشر فضائل جمع الله تعالي

فيها بين الذكور والإناث ، وبين أن الثواب العظيم كائن لمن يتحلي بها ، سواء أكان من الذكور أم من الاناث .(٢٨)

وقال تعالي " مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أو أنثَىٰ وَهُوَ مُؤمِنٌ فلنحيينه حيوه طيبه ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"(٢٩) وقوله أيضا " وَمَن يَعمَل مِنَ الصَّٰلِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أو انثَىٰ وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ وَلا يُظلَمُونَ نَقِيراً "(٣٠) وقال الله سبحانه وتعالي " والمُؤمِنُونَ والمُؤمِنَٰتُ بَعضُهُم أولِيَاءُ بَعضٍ يَأمرُونَ بِالمَعرُوفِ وينَهَون عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُون اللَّهَ وَرَسُولَهُ أولَٰئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ عزِيزٌ حَكِيمٌ • وَعَدَ اللَّهُ المُؤمِنِينَ والمُؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجرى مِن تَحتِهَا الانَهارُ خَالِدِين فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عدنٍ ورِضوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أكبَرُ ذَلِك هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ "(٣١)

فالاية الاولي تشير الي أن مسئولية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أكبر مسئولية في نظر الاسلام ،مسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة .

كذلك يبرز التاريخ الذى قصه القرآن الكريم عن الأولين الامثلة التي تبين أن وضع المرأة من المنظور الاسلامي كوضع الرجل (٣٢)،حيث أنبأنا القرآن ان الله اصطفي من النساء كما اصطفي من الرجال ، فقد قال الله تعالي " إنَّ اللَّهَ اصطَفَىٰ ، ءَادَمَ ونُوحاً وَءَالَ إبرَاهِيمَ وَءَالَ عِمرَان عَلَى العَالَمِينَ"(٣٣)

وقال ايضا " وإذ قالت الملئكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين "(٣٤)، كما أنبأنا القرآن الكريم ان الله تقبل المرأة فيما يتصل بشئون العبادة والقيام بخدمة أماكنها المقدسة كما تقبل الرجل ، وقص علينا في ذلك ماكان من شأن امرأة عمران ، حيث يقول الله تعالي " إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم • فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإني سميتها مريم وإني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم • فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا " (٣٥)، وكان المعروف انالذى يقوم بخدمة الاماكن المقدسة هو الذكر دون الانثى ، وفي ظل العرف تحسرت امرأة عمران حينما علمت ان المنذور انثى ، فأبطل الله عليها هذا الظن ، أنبأها أنه في المهنة التي لاجلها نذرت مافي بطنها ، يتقبل الانثى كما يتقبل الرجل ، كذلك يسجل القرآن أمر الله عز وجل للنبي بأن يبايع النساء كما بايع الرجال ، علي التمسك بتعاليم الاسلام فقال الله سبحانه وتعالى " يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ".(٣٦)

كذلك سجل القرآن الكريم العديد من النساء – كما ذكر العديد من الرجال – كان لهن أثر وتدبير ورأى وقوة إيمان ، ففي عهد عيسي يذكرنا بمريم وأمها ، وفي عهد موسي كانت أمه وأخته وامرأة فرعون ، ابنه شعيب ،كما حكي القرآن الكريم قصه تلك المرأة (خولة بنت ثعلبة) التي أتت الي النبي صلي الله عليه وسلم ، وأخذت تجادله في شأن مادار بينها وبين زوجها (أوس بن الصامت) ، وتراجعه القول مرة ومرة ، حتي نزلت الآيات القرآنية التي تؤكد احترام الاسلام لشأن المرأة ولرأيها ، وتجعلها مجادلة ومحاورة للرسول وجمعها واياه في خطاب واحد ، فقال تعالي " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "(٣٧)، كما قرر رأيها وجعله تشريعا عاما خالدا ، فآيات الظهار – كما يرى الشيخ محمود شلتوت – واحكامه في الشريعة الاسلامية ، وسورة المجادلة ، ما هي الا آثرا من آثار الفكر النسائي وصفحة الهية خالدة نلمح فيها صورة احترام الاسلام لرأى المرأة .(٣٨)

الي جانب ما سبق وجه الاسلام الآخرين الي ضرورة تعديل نظرتهم الي المرأة واحسان معاملتها ، بعد أن ساءت معاملتها في عصور ماقبل الاسلام (٣٩)،وقد تمثل ذلك في الاتي:

- رفع التوهم السائد عند البعض بمسوءوليتها عن غواية آدم وخروجه من الجنة ، فبعض الآيات توءكد أن ماوقع لآدم عليه السلام لم يكن بسبب حواء وانما كان بسببهما معا . فقال تعالي " فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيطَانُ لِيُبدِيَ لَهُمَا مَاوُرِيَ عَنهُمَا مِن سَوءَاتِهِمَا "(٤٠)، وقوله أيضا "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيطَانُ عَنهَا فَأَخرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ "(٤١)، بل أن بعض الايات تحمله وحده المسوءولية حيث يقول القرآن الكريم " وعَصَيَ آدمُ رَبَّهُ فَغَوَيَ ". (٤٢)

- حرم القرآن الكريم تحريما قاطعا ، ماكان شائعا بين قبائل العرب في الجاهلية من تفضيل الذكور علي الاناث ، ومن وأد البنات وهن صغار ، وشنع بتلك العقلية التي كانت تقتل البنات خوفا من العار والفقر وذمها ذما شديدا ، ومن الايات التي وردت في ذلك قوله تعالي " وَإذَا المَوءُدَةُ سُئِلَت • بِأَي ذَنبٍ قُتِلَت "(٤٣) ،وقوله أيضا " قَد خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أولَادَهُم سَفَهًا بِغَيرِ عِلمٍ "(٤٤)، وقوله تعالي " وَإذَا بُشِّرَ أحَدُهُم بِالانثَي ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ • يَتَوَارَيَ مِنَ القَومِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أيُمسِكُهُ عَلَي هُونٍ أم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ الا سَاءَ مَايَحكُمُونَ "(٤٥)، وبين سبحانه وتعالي أنه وحده الذي يملك أن يمنح لمن يشاء الذكور ، وأن يمنح لمن يشاء الاناث ، وأن يمنح لمن يشاء الذكور والاناث معا ،وأن

يجعل من يشاء عقيما لاذرية له . فقال الله سبحانه وتعالي " لِلّهِ مُلكُ السّموَاتِ وَالارضِ يخلقُ مايَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إنَاثاً وَيَهَبُ لِمن يَشَاءُ الذّكُورَ . أو يُزَوِّجُهُم ذُكرَاناً وَإناثاً وَيَجعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إنّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ":(٤٦)

- أكد القرآن علي ضرورة ووجوب احترام الام وارضائهـا ، وارضاء الاب ، وقرن ذلك برضي الله سبحانه وتعالي ، وفي ذلك يقول " وَقَضَىٰ رَبّكَ الاّ تَعبُدُوا إلاّ إيّاهُ وبالوالِدَين إحسَاناً إما يَبلُغَنّ عِندَكَ الكِبَرَ احَدُهُما أو كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لّهُمَا أفٍّ ولاَ تَنهَرهُما وَقُل لّهُمَا قَولاً كَرِيماً " (٤٧)، بل انه خص الام بقدر من الاحترام والتقدير ، نتيجة ما تتحمله من مشـاق وآلام الحمل والولادة والارضاع والرعاية ، وفي ذلك يقول اللـه تعالي " وَوَصّينَا الإنسَانَ بوالدَيهِ إحسَاناً حَمَلَتهُ أمّهُ كُرهاً وَوَضَعَتهُ كُرهاً ": (٤٨)

- كرم الاسلام الزوجة وأمر بحسن معاشرتها ، فالمـرأة الصالحة هي خير متاع الدنيا وفي ذلك يقول الرسول الكريـم فيما رواه مسلم وابن ماجه والترمذى عن ابن عمرو - " الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة "(٤٩)، كما أوصي الله الزوج بحسن معاشرة زوجته فقال تعالي " وعَاشِرُوهُـنّ بِالمَعرُوفِ فَإن كرِهتُمُوهُنّ فَعَسَىٰ ان تَكرَهُوا شَيئاً وَيَجعَل اللـهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً ".(٥٠)

كما كان الرسول عليه الصلاه والسلام يوصي بالنساء دائما - ويعتبر حسن معاملة الرجل لزوجته فضيلة من أعظم الفضائل الانسانية - في أحاديث كثيرة من ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " استوصوا بالنساء خيرا ،فان المرأه خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا "وروى ابن عساكر رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه - ان رسول الله صي الله عليه وسلم قال " خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي ،ما أكرم النساء الا كريم ولا أهانهن الا لئيم"(٥١) ، كما أكد الرسول علي أن حسن معاملة البنات ليس له جزاء الا الجنه ، فقد روى الترمذى عن ابن سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه قال ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو اختان فأحسن صحبتهن واتقي الله فيهن فله الجنه " وفي الصحيحين عن عائشه رضي الله عنها ، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " من ابتلي - أي : أختبر - من هذه البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار ".(٥٢)

- ان الاسلام لم يقف عند حد التقدير العام لها ، وانما ترجم هذا التقدير في صورة حريات منحها الاسلام للمرأة

، وحقوق حكم علي الرجل والمجتمع الوفاء بها ، من هـــذه الحقوق والحريات حرية العمل ، وحرية التعاقد ، وحـــق الميراث ، وحرية الولاية الكاملة علي مالها .. وغيرها.(٥٣) الكثير مما كانت لاتتمتع به قبل الاسلام ، فقد أباح لهـــا الاسلام أن تتعاقد عن طريق البيع أوالشراء أو الهبـــة أو الوصية ، أو مايشبه ذلك من العقود ، وأعطاها كامل الاهلية في تحمل الالتزامات ، وفيتملك ماتريد من أموال أو عقـــارات أو منقولات ، وأن تتصرف فيما تملكه بالطريقة التي تختارهـــا ، كما قرر القرآن أنه لا يجوز لوليها أو زوجها أن يأخـــذ شيئا من مالها ، أو مما سبق أن آتاه لها ، الا أن يكـــون هذا وذاك برضاها وعن طيب نفس منها ، وفي ذلك يقول اللــــه تعالي " وَلَايَحِلُّ لَكُمْ أن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا "(٥٤)، وقوله أيضا " وَءَاتُواْ النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِن نِحلة فَإِن طِبْنَ لَكُم عَن شَيءٍ مِنْهُ نَفساً فَكُلُوهُ هَنيئًا مَّرِيئاً "(٥٥)، ولا يجـــوز لوليها أو لزوجها أن يتصرف في أموالها الا باذنهـــا ، أو بتوكيلها اياه في التصرف نيابة عنها ، ويجوز لهـــا أن تسقط هذه الوكاله متي شاءت ، وان توكل من تريد وكالتـــه عنها ، وهي في كل ذلك كمثل الرجل سواء بسواء دون أى تفرقة بينهما ، كما أباحت شريعة الاسلام للمرأة أن تختار الـــزوج الزوج الذى تريده ، واشترط موافقتها علي الزواج حتي يكون

صحيحا ، وليس من حق وليها أن يزوجها بمن لاتريد أو بدون اذنها ، وأباحت لها حق المطالبة بفسخ عقد الزواج ، الذى تم عليها بدون اذنها أو رضاها ، واذا اختارت المرأة زوجا ، ولم يرض وليها به من غير سبب شرعي ، فلها أو من حقها أن ترفع الأمر الي القاضي ليتولي عقد زواجها مع من اختارته زوجا (٥٦)، كما أكدت الشريعة أيضا علي عدم حق وليها في منعها من العودة الي زوجها الذى طلقها ، وحقها في تزويج نفسها اذا ترملت. (٥٧)

واذا كان الاسلام قد منح المرأة هذه الحقوق والحريات ، فقد اشترط بعض الشروط الضرورية لحماية المرأة والاسرة والمجتمع ، فهو يحظر أن يختلي الرجل بأمرأة اجنبية عليه، ويوجب الاسلام علي المرأة في حالة اختلاطها (في أماكن العبادة ، وأماكن العلم ، وميدان الجهاد ، والحياة العامة) الا تكون متبرجة والا تبدى زينتها وأن تكون ملتزمة لجادة الوقار والحشمة في حديثها وجلستها وحركتها ، فلايكون في شيء من ذلك ما يبعث الاغراء أو يثير الشهوة أو يطمع الذى في قلبه مرض ، ويوجب عليها كذلك أن تغض من بصرها ، كما يوجب علي الرجال أنفسهم في هذه الحالة أن يغضوا من أبصارهم ويبتعدوا في هذه المجالس عن كل ما يتنافي مع الاخلاق الكريمه (٥٨) التي حض عليها الدين .

ثانيا : شواهد وجوب تعليم المرأة من المنظور الاسلامي:-

اتضح مما سبق ان الاسلام قد قرر أن المرأة مسؤولة مسئولية كاملة عن صلاتها وصيامها وزكاة مالها وتصحيح عقيدتها ، وعن بيتها وجماعتها ،بالإضافة إلي مسئوليتها العامة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولعل تحمل المرأة لكل مسئولياتها يجعل لها أو عليها الحق في أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسئوليات علي الوجه الذى حددت به ، وطلبت منها عليه .

واذا كانت ممارسة المرأة للحقوق والحريات والواجبات التي منحها الاسلام لها ، وكلفها بها ، مما يوجب تعلمها ، فقد حث الاسلام علي تعليمها وتثقيفها ، ولم يفرق بين الرجل والمرأة في طلب العلم ، وطلب منها التزود بالعلم النافع ، وبالثقافة المفيدة ، وبالمعرفة التي تعود عليهم وعلي أمتهم بالخير .

ولذا فقد ملىء القرآن الكريم - سوره وآياته - بالحض علي طلب العلم وتلقيه من المهد الي اللحد وشرف أهل العلم تشريفا عظيما ، كما اهتمت السنة المطهرة بذلك اهتماما بالغا سواء أكانوا من الرجال أم من النساء ، فآيات القرآن الكريم الاولي تأمر الناس-رجال ونساء - وتحضهم علي التعلم

وتحصيل المعرفة وتعظم القراءة والكتابة وأدواتها ، قال تعالي " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَقٍ • اقرأ وربك الاكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان مالم يعلم "(٥٩) وقوله أيضا " نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ "(٦٠)، " وَالطُّورِ • وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ • فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ " (٦١) ، " وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا "(٦٢)

كذلك يشير القرآن إلي أنه كلما زاد الانسان علما زاد فضلا ، وزاد قربا من الله سبحانه وتعالي ، فقد قرن الله أهل العلم بملائكته في الشهادة له بالوحدانية ، فقال تعالي " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(٦٣)، وقصر الله خشيته منه علي العلماء " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ "(٦٤) وبين الله سبحانه ان العلماء وحدهم هم الذين يعقلون ما يضربه للناس من أمثال " وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ "(٦٥) ، ونفي – عز وجل – التسوية بينهم وبين غيرهم ،فقال " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ "(٦٦)، ورفع الله درجاتهم – سواء في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت أم في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة – عنده فقال " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " (٦٧) ويقول أيضا " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ".(٦٨)

وتأتي السنة النبوية الشريفة ، فتؤكد هذا الخط القرآني العام ، فأحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم في فضل العلم وأهله وحث الناس علي طلبه ، أكثر من أن تحصي في هذه الدراسة ، ويمكن الاشارة هنا الي كتاب " جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله " للامام القرطبي وهوجزءان فاق عدد صفحاته الأربعمائة ، من هذه الأحاديث (٦٩) ما رواه البيهقي في شعب الايمان وابن عدى في الكامل عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة علي كل مسلم " وتنكير كلمة مسلم هنا يفهم منه الاستغراق ، بمعني أنها تستغرق كل المسلمين وتشمل الذكر والأنثي علي السواء ، وروى أبو داود والترمذى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول " من سلك طريقا يطلب منه علما ، سهل الله له طريقا الي الجنة، وأن العلماء ورثه الانبياء ، وأن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " ومن ذلك أيضا ما جاء في الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " وما جاء في الصحيحين عن أبي أمامه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال فضل العالم علي العابد كفضلي علي

أدناكم ، ان الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والارضين حتي النملة في حجرها وحتي الحوت ليصلون علي معلم الناس الخير ".

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاسلام لم يفرق فيما منحه من حق التعليم والحض عليه للمرأة المسلمة ، بين أن تكون حرة أو أمة ، بل ان توجيهات الاسلام فيما يتصل بشأن الأمة كانت أكيدة فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي بردة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أيما رجل كانت عنده وليدة – أى جارية – فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم اعتقها وتزوجها فله أجران ".(٧٠)

أما بالنسبه لما أثاره البعض حول تعلم المرأة للكتابة والخط ، فيمكن الاستدلال مما ورد في بعض الآيات القرآنية علي ضرورة تعلم المرأة الكتابة فقد قال تعالي " وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُم كَاتِبٌ بِالعَدلِ "(٧١). فالخطاب في هذه الأية جاء بصيغة التذكير إلا أنه شامل للنساء فقد ورد الخطاب مذكرا علي طريقة التغليب ، فدل علي أنه لافرق بين أن يكون الكاتب رجلا أو امرأة ، وهو من أدلة وجوب تعلم النساء الكتابة (٧٢). كما أكدت السنة المطهرة علي ذلك ، فمما جاء بكتب السنة والتاريخ أن الشفاء العدوية – وهي سيدة من قبيلة عدى – كانت تعرف الكتابة ، وكانت تعلم الفتيات في

الجاهلية ، وكانت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قد تعلمت عنها الكتابة قبل زواجها بالنبي صلي الله عليه وسلم ، فلما تزوجها صلي الله عليه وسلم ، طلب من الشفاء أن تواصل تعليمها لحفصة ، وأن ترشدها الي تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة ، فقد أخرج الامام مسلم وأبو داود عن الشفاء قالت : دخل علي النبي صلي الله عليه وسلم ، وأنا عند حفصة بنت عمر ، فقال لي " ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة ، ويقصد صلي الله عليه وسلم – برقيه النملة : تحسين الخط وتزيينه .(٧٣)

مما سبق يتضح أن موقف الاسلام من قضيه تعليم المرأة وتعلمها ، قد تجاوز نطاق الاباحه أو الحق ، الي اعتباره فريضة الهية ، وضرورة انسانية ، وتكليفا واجبا وملزما ، فالعلم جوهر انسانية الانسان ومن الايمان ، وأى كلام عن تعليم المرأة ينبغي أن يرد الي الايمان ، فما يجوز علي الايمان يجوز علي العلم والتعليم "(٧٤)، ولعل ذلك هو مادفع المسلمين الاوائل الي الحرص الشديد علي طلبه والسعي الي تحصيله سواء من جانب الرجال أم النساء والشواهد الدالة علي ذلك كثيرة سوف نتعرض لها في الجزء التالي .

ثالثا : مظاهر الاهتمام بتعليم المرأه في المجتمع الاسلامي الاول :-

اتضح مما سبق أنه لم يرد نص من القرآن الكريم أو السنة الشريفة يحرم تعليم المرأة أو يفرض قيودا علي تعليمها - طالما كانت متحجبة ومحتشمة - بل اننا وجدنا علي العكس من ذلك حضا علي طلب العلم وجعله فريضة علي كل مسلم ومسلمة ، وعلي هذه المفاهيم والتصورات قامت الحياة التعليمية منذ البعثة النبوية ، وأقبلت النساء علي التفقه في الدين ، تستفسر عن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول وتطلب شرح ذلك ، وتتلقي عن رسول الله كل ما يتعلق بأمور دينها ودنياها ، وهناك الكثير من الشواهد التي تلقي الضوء علي ذلك منها :-

- كانت المرأة - منذ أن انبثق فجر الدين الاسلامي - تشارك في الحضور الي المسجد للصلاة ، وتتلقي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، بعد أن عرفت وظيفة الرسول التعليمية ، وسألته احداهن أن يعلمهن ، وقد استجاب الرسول لطلبهن ، حدد لهن وقتا ، خصهن فيه بالارشاد والتوجيه والتعليم والاجابة عن أسئلتهن ، فقد روى البخارى في صحيحه عن أبي سعيد الخدرى قال : قالت النساء للنبي صلي الله عليه وسلم غلبنا الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك

موعدهن يوما ، لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن ، فكان مما قال لهن " ما منكن امرأه تقدم ثلاثة من ولدها ، الا كن لهـا حجابا من النار " فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال واثنين" (٧٥).
وحديث آخر عن أبي سعيد الخدرى قال : جاءت امرأة الى رسول الله صلي الله عليه وسلم يارسول الله ذهب الرجال بحديثك ،فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال : اجتمعن يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا" ، فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلي الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال " ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة الا كان لها حجابا من النار " فقالت امرأة يارسول الله اثنين ،قال فأعادتها مرتين ثم قال اثنين ، واثنين واثنين (٧٦). ففي الحديثين اشارة الي ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص علي تعلم أمور الدين .

وعن أيوب قال سمعت عطاء ،قال سمعت ابن عباس قال أشهد علي النبي صلي الله عليه وسلم ، أو قال عطاء أشهد علي ابن عباس أن رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج ومعه بلال فظن أنه لم يُسمع (النساء) فوعظهن وأمرهن بالصدقة (كأنه اعلمهن ان في الصدقة تكفيرا لخطاياهن) فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم ، وبلال يأخذ في طرف ثوبه (٧٧).

- كان علي نساء النبي في المجتمع الاسلامي الأول مسئولية التعلم والتعليم ، استنادا الي قول الله تعالي مخاطبا امهات الموءمنين " وَٱذكُرنَ مَا يُتلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِن ، ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلحِكمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا "(٧٨)فآيات الله هي القرآن الكريم والحكمة هي السنة النبوية الشريفة ، فقد كان بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم مدرسة تعاونه فيها نساوءه وبخاصة فيما يتعلق بأمور المرأة المسلمة وشئونها الخاصة ، فضلا عن متابعتهن للكتاب والسنة المطهرة ، وكان للسيدة عائشة رضي الله عنها النصيب الاوفي في رواية الحديث ، فهي من أكثر الصحابة رضوان الله عليهم رواية للحديث ، فقد روى لها عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ألف ومائتان حديث وعشرة أحاديث ، وهو مما لايتوفر لسواها حتي من الرجال ، كما كان لها دورًا بالغًا في تبليغ الاحكام الشرعية لا سيما للنساء أو ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يصنعه في بيته ومع زوجاته ، حيث يروى أن امرأة من الانصار جاءت تسأل رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف تتطهر من الحيض؟ فقال : خذى فرصة من مسك فتتبعي بها أثر الدم ،فلم تفهم ، فاستحي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فأخذتها عائشه وعلمتها (٧٩)، وتلك مهمة لها أكبر الاثر في التبليغ والتعليم ، اذ ان تعليم المرأة وخاصة في مثل هذه الامور يكون اكثر ايضاحا وأبعد عن الحرج • ونظرا لكثرة

علمها وفقها ، كان الصحابة يرجعون إليها اذا ما خفي عليهم شيء يتعلق بالسنة المطهرة أو بغيرها ، فقد جاء عن أبي موسي الاشعرى رضي الله عنه قال " ماكان أصحاب رسول الله - صلي الله عليه وسلم - يشكون في شيء الا سألوا عنه عائشة ، فيجدون من ذلك عندها علما "(٨٠)

- لم يمنع الحياء المرأة المسلمة من التعلم والتفقه في دينها ، حيث روى البخارى في صحيحه عن أم سلمة قالت : جاءت أم سليم الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ان الله لايستحي من الحق ، فهل علي المرأة من غسل اذا احتلمت ؟ قال النبي صلي الله عليه وسلم : اذا رأت الماء ، فغطت أم سلمة (تعني وجهها) وقالت يارسول الله أو تحتلم المرأة ؟ قال نعم ،تربت يمينيك ، ففيم يشبهها ولدها ، ولهذا وغيره قالت عائشة فيما رواه البخارى رضي الله عنها " نعم النساء نساء الانصار ، لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين.(٨١)

- لم تكن المرأة المسلمة حريصة علي تلقي العلم فقط ، بل أيضا علي التثبت والمراجعة حال تلقيه(٨٢) حيث يروى البخارى في صحيحه أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت لاتسمع شيئا لاتعرفه الا راجعت فيه حتي تعرف ، وأن النبي صلي الله عليه وسلم قال : " من حوسب عذب " قالت عائشة

، فقلت : أو ليس يقول الله تعالي " فسوف يحاسب حسابا يسيراً قالت : فقال انما ذلك العرض ، ولكن من نُوقش الحساب يهلك ": (٨٣)

وهذه امرأة مسلمة أخرى لم ترض لنفسها أن تفعل أمرا تتمناه الا بعد أن تكون علي بينة من علم بحكم هذا الفعل ، حيث روى البخاري في صحيحه ان امرأة جاءت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقالت : اني انكحت ابنتي ، ثم أصابها شكوى ،فتمزق رأسها (وفي الروايه الاخرى عند البخاري أيضا وأنها مرضت فتمعط شعرها : أى سقط) وزوجها يستحثني بها ، أفاصل رأسها فسب رسول الله صلي الله عليه وسلم : الواصلة والمستوصلة ،وقد التزمت بماعلمت . وهذه امرأة ثالثة تقف لصحابي جليل موقف الند للند في مسألة علمية وفقهية حتي يأتي لها بالحجة والدليل ، حيث يروى البخاري في صحيحه عن ابراهيم عن علقمة : قال : لعن عبد الله بن مسعود الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت أم يعقوب (امرأة من بني أسد كانت تقرأ القرآن) : ما هذا ؟ قال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله وفي كتاب الله ، قالت والله قرأت ما بين اللوحين فما وجدته قال والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه وما آتاكُم الرّسولُ فخذوهُ وما نَهاكُم عَنهُ فانتَهوا ": (٨٤)

- روى البلاذى في فتوح البلدان أنه عند مجيء الاسلام ، كان هناك خمس نساء من العرب يقرأن ويكتبن وهن حفصة بنت عمر وأم كلثوم بنت عقبة وعائشة بنت سعيد وكريمة بنت المقداد والشفاء بنت عبد الله العدوية ، التي كانت تعلم حفصة ، طلب الرسول منها أن تستمر في تعليمها لها بعد زواجه منها ، فقد كان تعليم القراءة والكتابة ضروريا للذين يرغبون في رواية الحديث عن الرسول وهو عمل شاركت فيه النساء.(٨٥)

- اهتمت المرأة المسلمة بالدين والدراسات الدينية وخاصة رواية الحديث ، وقد عقد ابن سعد جزءا من كتابه " الطبقات الكبرى " لروايه الاحاديث عن النساء ، أتي فيه علي أكثر من سبعمائة امرأة روين عن الرسول أو عن الثقات من أصحابه ، وعنهن روى أعلام الدين وأئمة المسلمين ،وترجم ابن حجر في كتابه في تمييز الصحابه حياة ١٥٤٣ محدثة ، قال عنهن : انهن كن ثقات عالمات ،كما خص كل من النوادى في تهذيب الاسماء والخطيب البغدادى في تاريخ بغداد ، والسخاوى في الضوء اللامع خيرا كبيرا للحديث عن النساء اللاتي كانت لهن ثقافة عالية ، وبخاصة في العلوم الدينية ورواية الحديث (٨٦)، كما كانت هناك عدد من النساء تجلس للتدريس في المساجد للرجال والنساء علي السواء ، فقد كانت النساء

تتلقي العلم عن الرجال ، ويقمن بالتدريس بدورهن للرجـــال، وكان يجلس في حلقتهن مشاهير العلمـاء والمجتهدين ، وقــد اعترف بعض مشهورى الرجال بفضل النساء ، فقد ذكر ياقوت فـي معجم الادباء ، آن الحافظ ابن عساكر في تعداده لاساتذتـــه وشيوخه الذين تلقي عنهم ، ذكر من بينهم بعضا وثمانين امرأة ، وذكر ابن خلكان عن أم المؤيد زينب بنت الاشعرى أنهــا كانت عالمة ، وأدركت جماعه من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية واجازة ، ويذكر عن طرفة بنت عبد العزيز بن موســي أنها تلقت العلم علي عدد من مشهورى عصرها بالاندلس ، وأخذت عنهم كثيرا من كتبهم وسمح لها زوجها بقراءة هذه الكتب علي طلابها ، كما كان من النساء من تقوم بتدريس علوم الديـن للنساء في الخوانق ، وينقطعن للعبادة والتدريس كما فــي الاديرة .(٨٧)

كذلك يعترف ابن حزم القرطبي لهن بالفضل العلمي ، حيث قال " لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن مالايكاد يعلمـه غيرى ، لاني ربيت في حجورهن ونشأت بين أيديهن ولم أعــرف غيرهن ، ولاجالست الرجال الا وأن في حد الشباب وحين تبقـل وجهي وهن علمتني القرآن وروينني كثيرا من الاشعـــار ودربنني علي الخط .(٨٨)

- ان حرص المرأة المسلمة علي التعليم لم يقتصر علـــي الدراسات الدينية ورواية الحديث بل امتد الي دراسة الادب والشعر والخط بالاضافة الي معارف الطب والتمريض وأمـــراض النساء خاصة ، فالسيدة عائشة رضي الله عنها لم تقتصـــر معارفها علي الشئون الدينية فقط والاحكام ، ولكنها تجـــاوزت ذلك فاستوعبت آداب العرب وأنسابها ، والطب والشعر ، لذلك قال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحد أعلم بفقه ولابطب ولابشعر من عائشة ، وعندما سئلت من أين هذا العلم بالطـــب أجابت " أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - كثرت أسقامه ، فكان أطباء العرب والعجم يبعثون له ، فتعلمت ذلك منهم.(٨٩)

والحقيقه أن كتب التاريخ والادب حافلة باسماء مشاهير النساء المسلمات اللائي برعن في الادب والشعر ، وقد ترجـــم السيوطي في مخطوطه " نزهة الجلساء في أشعار النساء " لسبع وثلاثين شاعرة ، كما كان هناك نساء مسلمات برعن في صناعـــة الطب والجراحه والمداواة ، وكان لهن شهره كبيرة ، وقـــد ترجم ابن أبي أصيبعة لبعضهن في كتابه " طبقات الاطباء "كما اشتهر كثير منهن في الطرب والغناء ، وقد عرض الاصفهانـــي في كتابه الاغاني لذكر أسماء كثير منهن ، كما أسهمـــت المرأة المسلمة في ميادين السياسة فناصرت حزبا علي حـــزب كما حدث ابان الصراع بين علي ومعاوية .(٩٠)

في ضوء ما سبق يتضح أننا لم نجد في تعاليم الاسلام نصا واحدا يحرم المرأة من طلب العلم والتعليم ، ولم يسرد التاريخ الاسلامي حادثة واحدة حرمت فيها المرأة من التعليم بدعوى أن الاسلام يمنعها من ذلك ، فقد أعطي الاسلام المرأة حق التعليم والثقافة ، وآباح لها أن تحصل علي ماتشاء الحصول عليه من علم نافع وأدب رفيع وثقافة متنوعة ، ومعرفة مفيدة بل أن شريعة الاسلام لتوجب عليها ذلك في الحدود اللازمة لوقوفها علي أمور دينها ، وحسن قيامها بوظائفها في الحياة ، علي أن يتم ذلك في مناخ يحفظ لها كرامتها ، ويصونها عن التبذل وينأى بها عن كل ما يتعارض مع الخلق الكريم والسلوك القويم الذى أكد عليه. الاسلام أن كل ما أثاره الفقهاء المسلمون من قضايا حول تعليم المرأة لا يتناول أو يمس حقها في التعليم وأنما يمس تنظيمه وأشكال هذا التنظيم (٩١)، مثل ما يجب ان تتعلمه المرأة ، وهل تتعلم نفس علوم الرجال ؟ أم ينال كل منهما تعليما مختلفا عن الآخر ؟

رابعا : ما يجب أن تتعلمه المرأه من منظور اسلامي :-

اذا كان نوع التعليم الذى يجب أن تتعلمه المرأة يتحدد بناء علي نظرة المجتمع لها وما تتمتع به من

استعدادات وقدرات والدور الاجتماعي وطبيعه العمل الذى تقوم به ، وبالحاجات الاجتماعية والاقتصادية للعصر - فالأصل في التعليم أنه تلبية لاحتياجات الفرد والمجتمع واحتياجات العصر- ، واذا كان الاسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة من حيث التكريم والتشريف ، ومن حيث المسئوليات الملقاه علي عاتق كل منهما - الا من بعض المساحات حسب الطبيعة النوعية ومقتضيات الوضيفة الاجتماعية - واذا كانت منزلة المرأة في المجتمع الاسلامي لم تقف عند حد أنها ربة بيت فحسب - علي الرغم من أنها مهمتها الاولي - بل تمتد الي المشاركة في الحياة العامة داخل المجتمع من خلال المشاركة بالرأى ، والمشاركة في تعليم الصغار ، والمشاركة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمشاركة في المجال الطبي والتمريضي والمشاركة حتي في الجهاد .. وغيرها من الوظائف العامة والاعمال المشروعة التي تحسن أداءها ولا تتنافي مع طبيعتها كأنثي ، أو تتعارض مع الخلق الكريم ، وقيامها بواجباتها المنزلية نحو أولادها وزوجها وبيتها - لان هذا هو الاصل في حياتها - فليس في شريعة الاسلام ما يمنع المرأة من أن تكون مدرسة أو تاجرة ، أو في عمل شريف حلال ،تبغي من ورائه الرزق الحلال الذى يغنيها عن سوءال الناس وتوءديه بعفاف واحتشام ، وستر لما أمر الله بستره منها .(٩٢)

في ضوء كل الاسباب السابقة أشار بعض الفقهاء أن ما يجب أن تتعلمه المرأة نوعان .(٩٢)

١- فرض عين : وهو الذى تصح بها عبادتها وعقيدتها وأمور دينها ، تحسن به تدبير منزلها وتربية أولادها ، وتشمل العلوم الدينية حتي تتعرف أمور دينها وعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ونقد باعتبارها من الوسائل التي تتعرف بها علي العلوم الدينية بالاضافة الي مايساعدها علي أداء مهمتها السابقة .

٢- فرض كفاية : ويشمل كل ما هو ضرورى ولازم لنهضة الامة والمجتمع ، والذى اذا قام به البعض سقط عن الباقيين ، فاذا كان المجتمع في حاجة الي طبيبات لامراض النساء والطفولة تكفين حاجة المجتمع ، لزم اعداد عدد كاف من الطبيبات لهذا الفرض ، كذلك الحال بالنسبه للتمريض والتدريس ... وغيرها . واذا اقتضي الامر شغل أيدى الرجال عن الاعمال المدنية - ابان المعركة أو الاستعداد لها مثلا - واحتياج الي أن تشغل المرأة مكانها فتعليمها واعدادها لذلك العمل يكون واجبا ، أما اذا لم تكن ضرورات تفرض علي الامة اعداد النساء لثقافة معينة ، فإن ثقافة المرأة المسلمة يجب أن تتجه الي ما يخدم وظيفتها الطبيعية وهي رعاية البيت من طهي

وحياكة وحضانة وعلم التغذية ، ومبادىء الصحة العامة والوقائية ، ودراسة علم نفس الطفل ، وقسط من الفنون يساعد علي التذوق الفني ويعين علي تنسيق البيت .

ويرى الباحث أنه طالما لايوجد محظور في العلم - سواء للرجل أو للمرأة - وأن الاسلام نهي فقط عن تعلم السحر واعتبره كفرا أو قرينا للكفر ، وما وراء ذلك فلا يخرج عن اطار الفريضة والاباحة ، واذا كانت القاعدة الفقهية تقول " ان مالايتم الواجب الا به فهو واجب " ،فإن حسن قيام المرأة بدورها في المجتمع ودورها كربة بيت بصفة خاصة - باعتبارها مهمتها الأولي - يتطلب ضرورة اطلاق الحرية لها في أن تتعلم العلوم المختلفة لمن تريد ، طالما كان هذا التعليم يتم في اطار من العفة والاحتشام وفي ضوء تعاليم الاسلام وأوامره ، ومادامت لاتتعدى الحدود التي وضعها المشرع لبنات جنسها .

فنحن نعيش في عصر يتسم بالانفجارات المعرفية والتقدم الهائل في العلوم المختلفة بشكل لم يسبق له مثيل ، وبسرعة معدلات التغيير ، ودخول التكنولوجيا الحديثة الي كل جانب أو قطاع من قطاعات المجتمع ، وبصفة خاصة المنزل ، فتقدم وسائل الاتصال الجماهيرى المسموعة والمرئية والمقروءة ،

بالإضافة الي مايشهده المنزل الحديث من تكنولوجيا حديثـــة ، يجعل من الضرورى للمرأة الا يقف تعليمها عن حد معين، بـل لابد أن تكون علي الـمام بكل ما هو جديد وحديث ، حتي تستطيع أن تؤدى دورها في المنزل وتجيب علي العديد من تســاؤلات أطفالها . كما تتطلب ضرورة أن تتنوع وتتعدد الدراســات والبرامج المقدمة لها ، وكذلك لابد أن يختلف نوع التعليم باختلاف احتياجات المرأة من بيئة الي أخرى ، فاحتياجات المرأه فـــي الريف تختلف عن احتياجاتها في الحضر ، كذلك لابد أن يختلـف التعليم باختلاف السن والخصائص النفسية ، فاحتياجات الاطفال غير احتياجات المراهقين ، كما يتطلب – أيضا – ضرورة التوازن والتكامل في أنواع التعليم المختلفة ، التعليم الاكاديمــي والفني ، والتعليم النظامي وغير النظامي ، والا يقتصـــر تعليم المرأة علي الدراسات النظرية أو التعليم النظامــي فقط ، ووضع سياسات عامة وبرامج طموحة لمحو الامية بيـــن النساء العربيات ، والتدريب علي تكنولوجيا المنزل الحديـث ، ولتوعيتهن بمشكلات المجتمع العربي .

فتعليم المرأة من المنظور الاسلامي ليس بدعة ولكنـــه مبدأ أساسي وفريضة واجبة علي المرأة والرجل علي حد سواء .

مراجــع الدراســـه

١ – محمد الرميحي : خطاب مفتوح الي النساء العربيات – مجلة العربي – العدد (٣٢١) – وزارة الاعلام – الكويت – أغسطس ١٩٨٥ ، ص –٨–١٦٠

أنظر أيضا : عبد الحميد العزالي : كيف تسهم المرأة في تنمية المجتمع – مجلة لوأء الاسلام – السنة (٤٦) العددان ٦و٧ صفر ربيع أول ١٤١٢ هـ – القاهرة ، ١٩٩١٠ ص ٥٣٠

٢ – محمد عثمان صالح : دور جامعة الدول العربية في تعزيز مكانة المرأة العربية وتمكينها من المساهمة الفعالة في التنمية – أراء (عدد خاص عن التعليم الوظيفي للمرأة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية) – المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي بسرس الليان – أكتوبر ١٩٧٥ ٠ ص ١٧٠٠

٣ – أبو الاعلي المودودى : الحجاب – دار التراث العربي للطباعة والنشر – القاهرة – د٠ت ص ١٢٥ ٠

٤ – قاسم أمين : تحرير المرأة – دار المعارف – القاهرة –١٩٨٠ ص ٤٢–٤٣٠

٥ – علية حسن حسين : دور المرأة في تنمية المجتمعات الصحراوية – المجلة الاجتماعية القومية – المجلد (١٤) ، العدد (١–٣) – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية – القاهرة – ١٩٧٧، ص ٢٢٢ ٠

- أنظر أيضا : مناع القطان : مدى اعداد الجامعات في الوقت الحاضر للفتيات للاسهام في تنمية مجتماتهن ، بحث مقـــدم الي موءتمر الشباب والتنمية من منظور الاسلام الذى انعقـد بجامعه المنوفية بالتعاون مع رابطة الجامعات الاسلاميــــة في المدة من ١٧-١٩ نوفمبر ١٩٩٠ ٠ ص ١ ٠

- محمد عطية الابراشي : التربية الاسلامية وفلاسفتها - ط٣ - دار الفكر العربي القاهرة - ١٩٧٦ ، ص ١٣٣ ٠

٦- بيومي محمد ضحاوى : التوازن المفقود بين الاسرة والمدرسة - بحوث الموءتمر السنوى الاول للطفل المصرى " تنشئتــــة ورعايته " - المجلد الثاني - مركز دراسات الطفولــــه - جامعه عين شمس - ١٩٨٨ ، ص ٥٧-٥٨ ٠

٧- عبد التواب يوسف : المرأة ومحو الامية وتعليم الكبار - آراء - مرجع سابق ،ص ٣٠ ٠

٨- منير بشور : تكافوء الفرص التعليمية في البلاد العربيـــة - المجلة العربية للتربية - المجلد التاسع - العدد الثاني المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - اسبتمبر ١٩٨٩٠ ص ٣٢-٤٢ ٠

أنظر أيضا : لاليتاراموا س : محو أمية النساء ،مطلب عدالـة - مستقبليات - المجلد (١٩) العدد الرابع - مركز مطبوعات اليونسكو - القاهرة - ١٩٨٩ ٠ ص ٥٨٠ ٠

- جلال الدين بلال عوض : دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في تعزيز مشاركة المرأة الريفية في عملية التنمية في المنطقة العربية - التربية الجديدة - العدد (٤٩) - السنة (١٧) - مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية - بيروت - ابريل ١٩٩٠ - ص ٦٩ .

٩ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : التعداد العام الحادى عشر للسكان والمنشآت خصائص السكان والظروف المكانية وأجمالي الجمهورية - مرجع رقم ٨٩/٨٦١/أم.ت - القاهرة - يونيو - ١٩٩٠ ، ص ٨٤ .

- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : الكتاب الاحصائي السنوى لجمهورية مصر العربية (٥٢-١٩٧٩) - القاهرة - يوليو ١٩٨٠ ،ص ١٦٨ .

- حمدى عبد اللطيف : أثر قيمة التعليم وعمل المرأة علي نوع النشاط الاقتصادى المصرى-مجلة العلوم الاجتماعيه المجلد (١٦) - العدد (٣) - جامعه الكويت - خريف ١٩٨٨. ص ١٣١ .

١٠- سمير لويس سعد : استيعاب الاطفال الملزمين في مدارس التعليم الاساسي مسح شامل لمنطقة حضرية وريفية - المركز القومي للبحوث التربوية - القاهرة - سبتمير ١٩٨٢ ص٦١.

١١- حسان محمد حسان : تاريخ تعليم البنت في مصر ،تاريخ

وقضايا – آراء – السنة التاسعة – العدد الثالث – المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي بسرس الليان – ١٩٧٩ ،ص ٤٩–٥٠ .

١٢– محمد العوضي جلال الدين : التمييز بين الذكور والانـاث وانعكاساتها علي وضع المرأة ودورها في المجتمع مثـال "الادرن والسودان" – مجلة العلوم الاجتماعية – المجلـد (١٢) – العدد (٣) – جامعة الكويت – خريف ١٩٨٤ ،ص ٣٣ .

انظر أيضا : زينب عبد الرشيد محمد : تعليم المـرأة العربية وعلاقتها الوظيفية بالتنمية – مجلة اليقظة القومية – النسة (٥) – العدد (٧) – القاهرة – يوليو ١٩٨٩.

– سمير عبدة : المرأة العربية بين التخلف والتحرر – دار الافاق الجديدة – بيروت . ١٩٨٠.

١٣– زينب محمد فريد : تعليم المرأة العربية في التراث وفـي المجتمعات العربية المعاصرة – الانجلو المصرية – القاهرة – د.ت . ص ١١٠ .

١٤– عمر عبيد حسنه : مقدمة كتاب ماجد عرسان الكيلانـي : مقومات الشخصية المسلمة أو الانسان الصالح ، كتاب الامـة – العدد (٢٩) طبقة خاصة بمصر تصدر عن موءسسة أخبار اليوم – القاهرة – مايو ١٩٩١ . ص ٢٤ .

١٥– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبين – ج ٢ –

تحقيق وشرح عبد السلام هارون – الطبعه الخامسة – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٥ . ص ١٨٠ .

١٦- أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابس : الرسالة المفصلة لاحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين في كتاب أحمد فوءاد الاهواني : التربية في الاسلام – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٠ – ص ٢٨٩ .

١٧- محمد منير مرسي : دراسة عن تعليم المرأة في الاسلام – مجلة التربية القطرية – السنة (٢٠) – العدد (٩٢) – يناير ١٩٩٠ . ص ٨٦ .

١٨- حسان محمد حسان : مرجع سابق . ص ٥٧ .

١٩- محمد أحمد الصادق كيلاني : الطبيعه الانسانية في القرآن الكريم – مجلة كلية التربية ، جامعة المنوفية ، السنة الثالثة – العدد الثالث – جزء أول ، ١٩٨٨ ، ص ٢٧٧ .

٢٠- سورة النساء ،آية ١ .

٢١- سورة الاعراف ،آية ١٨٩ .

٢٢- سورة الانعام ،آية ٩٨ .

٢٣- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير – دار القلم للتراث – القاهرة – د.ت . ص ٩١ .

٢٤- عمر عبيد حسنه : مرجع سابق . ص ٢٤ .

٢٥- سورة النساء : آية ٣٤ .

٢٦- زينب رضوان : مكانة المرأة في التشريع الاسلامي - المجلة الاجتماعية القومية - مرجع سابق . ص ٢٧٦ .

٢٧- سورة الاحزاب : آية ٣٥ .

٢٨- محمد الغزالي وآخرون : المرأة في الاسلام - مطبعه أخبار اليوم - القاهرة - ١٩٩١ . ص ٤٨ .

٢٩- سورة النحل : آية ٩٧ .

٣٠- سورة النساء : آية ١٢٤ .

٣١- سورة التوبة : الايتان ٧١ ، ٧٢ .

٣٢- زينب رضوان : مرجع سابق ص ٢٦٨ .

٣٣- سورة آل عمران : آية ٣٣ .

٣٤- سورة آل عمران : آية ٤٢ .

٣٥- سورة آل عمران : آية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

٣٦- سورة الممتحنة : الاية ١٢ .

٣٧- سورة المجادلة : آية ١ .

٣٨- محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة - دار الشروق - ط ١٦ - القاهرة - ١٩٩٠ - ص ٢٢٧.

٣٩- محمد فتح الله الزيادى : تأملات في قضايا المرأة المسلمة - كلية الدعوة الاسلامية - طرابلس ١٩٩٠ - ص ٢٥ .

٤٠- سورة الاعراف : آية ٢٠ .

٤١- سورة البقرة : آية ٣٦ .

٤٢- سورة طه : آية ١٢١ ٠

٤٣- سورة التكوير : الايتان ٨ ، ٩ ٠

٤٤- سورة الانعام : آية ١٤٠ ٠

٤٥- سورة النحل : آية ٥٨ ٠

٤٦- سورة الشورى : الايتان ٤٩ ، ٥٠ ٠

٤٧- سورة الاسراء : آية ٢٣ ٠

٤٨- سورة الاحقاف : آية ١٤ ٠

٤٩- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : مرجع سابق ص ١٥٦ ٠

انظر : محمد الحاق : رحمة الاسلام بالنساء - دار الانصار بالقاهرة - د٠ت ص ٦ - ١٢ ٠

٥٠- سورة النساء : آية ١٩ ٠

٥١- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : مرجع سابق ص ٣٧ ، ١٥٠ ٠

٥٢- المرجع السابق ص ٢٩٤ ٠

٥٣- سعيد اسماعيل علي : ديمقراطية التربية الاسلامية - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٢ ٠ ص ٩٨-١٠٣ ٠

٥٤- سورة البقرة : آية ٢٢٩ ٠

٥٥- سورة النساء : آية ٤ ٠

٥٦- محمد الغزالي وآخرون : مرجع سابق ، ص ٦٣، ٦٦ ٠

٥٧- زينب رضوان : مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .

٥٨- سعيد اسماعيل علي : مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

انظر في ذلك :-

- زغلول راغب النجار : أزمة التعليم المعاصر وحلولها الاسلامية - المعهد العالي للفكر الاسلامي - مكة المكرمة - ١٩٩٠ ، ص ١١٠ - ١١٦.

- عبد الفتاح جلال : من الاصول التربوية في الاسلام - المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي - سرس الليان - ١٩٧٧ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

- عبد الغني عبود : في التربية الاسلامية - دار الفكرالعربي - القاهرة - ١٩٧٧ ، ص ١٦١-١٦٤ .

- محمد الغزالي وآخرون : مرجع سابق ، ص ٥٧-٦٠ .

٥٩- سورة العلق : آيات ١-٥ .

٦٠- سورة القلم : آية ١ .

٦١- سورة الطور : آيات ١-٣ .

٦٢- سورة طه : آية ١١٤ .

٦٣- سورة آل عمران : آية ١٨ .

٦٤- سورة فاطر : آية ٢٨ .

٦٥- سورة العنكبوت : آية ٤٣ .

٦٦- سورة الزمر : آية ٩ .

٦٧- سورة المجادلة : آية ١١ ٠

٦٨- سورة البقرة : آية ٢٦٩ ٠

٦٩- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : مرجع سابق ص ١٩٤ ،٣٠٧، ٣١٩، ٢١٦ ٠

٧٠- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى : صحيح البخارى بحاشية السندى - المجلد الثاني - الجزء الثالث - مطبعه دار احياء الكتب العربية - القاهرة - د٠ت ٠ ص ٢٤٠ ٠

٧١- سورة البقرة : آية ٢٨٢ ٠

٧٢- سعيد اسماعيل علي : مرجع سابق ٠ ص ١١٠ ٠

٧٣- محمد الغزالي وآخرون : مرجع سابق ٠ ص ٥٩ ٠

٧٤- سعيد اسماعيل علي : مرجع سابق ٠ ص ١٠٨ ٠

٧٥- الامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح البارى بشرح صحيح البخارى - الجزء الاول - دار الريان للتراث - القاهرة - ١٩٨٦ ،ص ٢٣٦ (كتاب العلم) ٠

٧٦- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى - مرجع سابق ص ٢٦٣ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) ٠

٧٧- الامام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني - مرجع سابق ٠ ص ٢٣٢ (كتاب العلم) ٠

٧٨- سورة الاحزاب : آية ٣٤ ٠

٧٩- الامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - مرجع سابق ، ص ٤٩٤ (كتاب الحيض) ٠

٨٠- محمد الغزالي وآخرون : ص ١١٨ ، ١١٩ .

٨١- الامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : مرجع سابق ص ٢٧٦ (كتاب العلم) .

٨٢- عبد الحي الفرماوى : صحوة في عالم المرأة - مكتبة التراث الاسلامي - القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٩٢-٩٤ .

٨٣- الامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : مرجع سابق ص ٢٣٧ (باب العلم) .

٨٤- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى - مرجع سابق ، ج ٤٢-٤٣ (باب اللباس والزينة) .

٨٥- البلاذرى : فتوح البلدان - القاهرة - القاهرة ١٣٥٠ هـ ص ٤٥٨ مأخوذ عن أحمد شلبي : التربية والتعليم في الفكر الاسلامي وجوانب التاريخ والنظم والفلسفة - دار النهضة المصرية - ط ٨ - القاهرة - ١٩٨٧ . ص ٣٤٠.

٨٦- أحمد شلبي : مرجع سابق . ص ٣٤٣ .

٨٧- سعيد اسماعيل علي : مرجع سابق . ص ١١٠ .

٨٨- ابن حزم : طوق الحمامة في الالفة والالاف ، تحقيق صلاح الدين القاسمي - دار الشروق الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد - ١٩٨٦ ، ص ١٢١ .

٨٩- محمد الغزالي وآخرون : مرجع سابق ،ص ٥٨ ، ٥٩ .

٩٠- زينب محمد فريد : مرجع سابق . ص ٨ - ٢٧ .

أنظر أيضا : محمد عطية الابراشي : مكانة المرأة في الاسلام – مكتبة مصر – القاهرة ١٩٨٠ ص ١٣١ – ١٤٦ ٠

٩١– عبد الرحمن النقيب : ديمقراطية التعليم في عصور الازدهار الاسلامي " دروس مستفادة) في الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس – المجلد العاشر – تحرير سعيد اسماعيل علي – دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة ،١٩٨٥ – ص ٢٠٣ ٠

٩٢– محمد العزالي وآخرون : مرجع سابق ص ٦٨ ٠

٩٣– عبد المتعال الجبرى : المرأة في التصور الاسلامي – ط ٦ – مكتبة وهبة – القاهرة – ١٩٨٣ ٠ ص ٦٣ ٠

أنظر أيضا :

– منير محمد الغضبان : أيتها الفتاة المسلمة ،ط ٤ – مكتبة المنار – الاردن – ١٩٨٤ – ص ٩ – ٣٩ ٠

الفصـــل الرابـــع

================

"دراســة عـــن"

تكافؤ الفرص التعليمية : المفهوم ومظاهرالتطبيقفى عصور الازدهار الاســلامى

- مقدمـــة
- مشكلـــة الدراســـة
- هــدف الدراســـة
- أهميـــة الدراســـة
- خطـــة الدراســـة

أولا : معنى تكافؤالفرص التعليمية و أركانه الأساسية

ثانيا: مظاهر تكافؤ الفرص فى تراثنا العربى الاسلامى

ثالثا: الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال تطبيق مبدأ تكافؤالفرص التعليمية فى وقتنا الحالـــى .

- المراجـــع

تكافؤ الفرص التعليمية، المفهوم، ومظاهر التطبيق فى عصور الازدهار الاسلامى

اعداد

دكتور / جمال على الدهشان

كلية التربية - جامعة المنوفية

مقدمه :

نال موضوع تكافؤ الفرص التعليمية - ومازال - اهتمام العديد من الباحثين والمهتمين بشئون التربية والتعليم من حيث تحديد مفهومه وجوانبه الأساسية التى يشملها وكيفية تطبيقه، والمعوقات التى تحول دون تحقيق ذلك، فلو فحصنا المفاهيم والقضايا المرتبطة بالتربية، سنجد انه ما من مفهوم أو قضية جذبت اهتمام المشتغلين بالتربية والاجتماع التربوى وشغلت تفكيرهم خلال القرن العشرين، مثلما حدث بالنسبة لهذه القضية.(١)

واذا كان البعض يعتقد أن مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية هو أحد ثمار الثورات والحركات المعاصرة، وانتشار المبادىء الديمقراطية انتشارا كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية، وسعى الدول جميعا لتحقيق هذه المبادىء، فان الدراسة المتعمقة تشير الى ان لهذا المبدأ جذوره التاريخية العميقة، حيث تناوله كثير من الفلاسفة والمفكرين عبر عصور التاريخ المختلفة، بدءا من أفلاطون - حيث جعل المرحلة الاولى فى نظامه التعليمى من ٧ - ١٨ سنه عامة لجميع الأفراد كما انه لم يفرق بين المرأه والرجل. (٢) ومروراً بأرسطو وكونيتليان، والقديس أغسطين والامام الغزالى، وانتهاءا بجون ديوى وطه حسين وغيرهما من المربين والفلاسفة المعاصرين. فقضية تكافؤ الفرص التعليمية تعد من القضايا القديمة والمتجددة باستمرار، فهى ان كانت ترتبط بحق الانسان فى التعليم باعتباره حقا من حقوقه الأساسية، غير أن مفهوم وأبعاد تكافؤ الفرص التعليمية نفسه يتطور باستمرار، ويتطلب تغييرات فى نظم التعليم. (٣)

ومن ناحية أخرى فانه اذا كانت الدول المتقدمه قد سبقت غيرها فى تبنى هذا المبدأ محاولة تطبيقه، فإن الدول النامية - ومن بينها مصر - مالبثت أن إتخذ نفس المسار خاصة خلال النصف الثانى من القرن العشرين، ولكن برغم الجهود التى بذلتها وتبذلها حكومات تلك الدول فى محاولاتها تطبيق هذا المبدأ فإنها تواجه مشكلات من

طبيعة تربوية واقتصادية واجتماعية وسياسية، ويرجع جانب كبير من هذه المشكلات الى سوء فهم بعض القائمين بالعملية التعليمية - خاصة فى المجتمعات النامية. بل وبعض أفراد المجتمع، لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية ومستوياته، والقضايا المرتبطه به، وكيفية تطبيقه. (٤)، الأمر الذى يتطلب ضرورة دراسة هذا المفهوم وأبعاده المختلفة، ومحاولة الاستفادة من التجارب السابقة، أو التجارب المعاصرة فى دول أخرى حققت تقدما كبيرا فى مجال تحديد مفهوم وابعاد كيفية وتطبيق هذا المبدأ. ومما تجدر الاشارة اليه أنه انطلاقا من أهمية قضية تكافؤ الفرص التعليمية فقد تناولتها دراسات عديدة من جانب المتخصصين فى مجال التربية حيث سعت بعض هذه الدراسات الى تحليل وتفسير مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لتوضيح جوانبه المختلفه، والمسارات التى يمكن تطبيقه من خلالها، وان كان ذلك قد تم اعتمادا على ايديولوجيات ومصادر أجنبية غربية أو شرقية (٥)، فى حين تناولت دراسات أخرى جانب أو جوانب محددة من هذا المبدأ كمجانية التعليم أو سياسة القبول - مثلا (٦)، واهتمت دراسات ثالثه بواقع تطبيق هذا المبدأ ماله وماعليه فى المجتمع المصرى، وما يجب القيام به لسد الثغرات بين الفكرة والتطبيق، هذا بالاضافة الى الدراسات التى تناوله من زاوية مقارنه من خلال المقارنه بين واقع ووسائل تحقيق هذا المبدأ فى دول مختلفة من بينها مصر (٨).

واذا كانت الدراسة التحليلية لمبدأ تكافؤ الفرص ضرورية، والدراسة الواقعية له أكثر ضرورية وكذلك الدراسات المقارنه للاستفادة من تجارب الدول الأخرى فى مجال تطبيقه، فإنه استكمالا لدراسة هذا المبدأ الهام يتطلب الأمر ضرورة الرجوع الى تراثنا التربوى الاسلامى نحاول أن نستلهم تجاربه وخبراته فى مجال تطبيق هذا المبدأ ومدى امكانية الافادة منها في اصلاح جوانب القصور فى نظامنا التعليمى خاصة مايتعلق منها بمتطلبات تطبيق هذا المبدأ، وجوانبه المختلفة.

والواقع أنه مع وعينا الكامل بأن لكل عصر قواعده وقوانينه وظروفه، مما يوجب الحرص فى استخدام مصطلحات العصر الحديث تفسيراً لاحداث وقعت فى العالم

العربى والاسلامى منذ قرون عديدة، أو اخذ بعض تجارب فى عصور سابقة لحل مشكلات تربوية معاصرة، خاصة وأن هناك، متغيرات تربوية عالمية قد حدثت فى معظم جوانب التربية، الا اننا فى الوقت نفسه نشعر بقدر غير قليل من حرية الحركة عندما نكون بازاء مبدأ انسانى يستطيع أن يقف عليه كل دارس للتاريخ البشرى فى أى زمان وفى أى مكان (٩)

كما أن تلك المتغيرات التى حدثت فى مجال التربية، لايمكن أن تقلل من أهمية دراسة التراث التربوى الاسلامى عند دراسة بعض المفاهيم والمشكلات التربويه المعاصرة، خاصة فى عصور ازدهار الحضارة الاسلامية، فهذا التراث يشتمل على أراء عديدة فى مجال التربيه والتعليم، وتجارب سابقة استطاع المسلمون الاوائل من خلالها اعداد انسان جديد أقام حضارة عالمية مازال العالم يقف امام أعلامها وفلاسفتها وعلمائها وادبائها شاعرا بالفضل لها (١٠)، هذه الحضارة كان من أهم دعائمها التربية بمفاهيمها ومؤسساتها ونظمها، فلقد كانت التربية هى السبيل الذى سلكه محمد صلى الله عليه وسلم لاحداث أعمق تغيير أيديولوجى عرفه التاريخ فى نفس الانسان، بل استطاع من خلالها أن يربى رجالا قضوا فى سنوات قليلة على معاقل الشرك والوثنية فى مكة المكرمة، وأقاموا للاسلام دولة حلت محل أكبر امبراطوريتين فى ذلك الوقت وهما الفرس والروم، كل ذلك فى أقل من ثلث قرن من الزمان (١١)

ومن ناحية أخرى فإن الدعوة الى الاهتمام بتراثنا التربوى قراءة ودراسة تتواكب مع الاتجاه العالمي السائد حاليا، والذى يدعو الى ضرورة الاهتمام بثقافة الشعوب الخاصة وعدم دمجها بالكامل فى تيار الثقافات المستوردة وهو اتجاه تبناه اليونسكو فى السنوات الاخيرة وخاصة مجلتيها الدوريتين «رسالة اليونسكو» «الثقافات» وتتبناه - أيضا - المؤتمرات التربوية المنعقدة فى معظم البلدان العربية والاسلامية، ومثيلاتها من الدول النامية.(١٢)

مشكلة الدراسة :

فى ضوء ماسبق تتحدد مشكلة الدراسة الحالية فى محاولة الاجابة عن الاسئلة التالية :

١ - مامعنى تكافو الفرص التعليمية، وما الاركان الرئيسيةالتى يقوم عليها ؟

٢ - مأأهم مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى تراثنا التربوى الاسلامى ؟

٣ - مأأهم الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية فى وقتنا الحالى ؟

هدف الدراسة :

تسعي الدراسة الحالية الى التعرف على بعض مظاهر تكافو الفرص التعليمية فى التراث التربوى الاسلامى، وكيفية الاستفاده من ذلك فى تشخيص بعض المشكلات فى مجال تطبيق هذا المبدأ، وفى البحث عن حلول لهذه المشكلات.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة فى النواحى التاليه :

١ - انها تتناول قضية من أهم القضايا التربوية، والتى أثارت ومازالت تثير كثيرا من الجدل والحوار حول تحديد مفهومها، وأبعادها وجوانبها المختلفة، ومشكلات تطبيقها فى الواقع التعليمى المصرى.

٢ - أنها تبحث عن مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى عصور الازدهار الاسلامى، والتى شهدت أيضا نهضة تربوية، وأسهمت فى تربية رجال كانوا ومازالوا نماذج فريدة، الامر الذى يمكن أن يساعد فى الاستفادة من بعض جوانب هذه النهضة، فى اصلاح بعض مشكلات واقعنا التعليمى.

خطة الدراسة :

فى ضوء الاسئله السابقة سارت خطة الدراسة وفق ثلاث خطوات على النحو التالى :

أولا : معنى تكافؤ الفرص التعليمية وأركانه الاساسية :

اختلفت الاراء والتفسيرات حول معنى تكافؤ الفرص التعليمية، نظرا لتعدد جوانبه وابعاده، كما قد يرجع هذا الاختلاف الى ارتباط هذا المبدأ بالفلسفة الخاصة بكل دولة، أو بطبيعة النظام السياسى بها، هذا بالاضافة الى أن هذا المبدأ أقرب الى النظرية منه الى وصف واقع حقيقى، فتكافؤ الفرص التعليمية لايقصد وصف حالة حقيقية وأنما مايجب أن يكون (١٣)

فتكافؤ الفرص التعليمية يعنى – عند البعض – توفير فرص تعليمية متكافئة لكل فرد بما تسمح به استعداداته وقدراته بصرف النظر عن المستوى الاقتصادى الاجتماعى، بمعنى أن يستطيع كل فرد أن يجد الفرص التعليمية المناسبة لميوله واتجاهاته، وأن يتعلم الى أقصى حد تؤهله له قدراته واستعداداته بصرف النظر عن وضعه الاقتصادى أو الاجتماعى أو الدينى أو كونه ذكرا أم أنثى (١٤)، هو ما يتطلب تنوعا فى مراحل التعليم وشعبه وتخصصاته، مع تحقق مجانية لهؤلاء الذين تسمح لهم قدراتهم بمواصلة التعليم والاستفادة منه.

ويرى البعض الآخر أن تكافؤ الفرص التعليمية لايعنى فقط المساواه فى حق التعليم لكل الافراد بل الاهم من هذه المساواة، هو المساواة فى الفرص التى تمكن الطالب من التخرج والنجاح (١٥)، فتكافؤ الفرص فى التعليم يتضمن بالاضافة الى التكافؤ فى فرص القبول والالتحاق، تكافؤ فى فرص الاستمرار فيه والنجاح والتحصيل والانجاز، فلا خير من اتاحة فرص متساوية فى مرحلة من مراحل التعليم بدون توافر المدخلات التى تمكن التلاميذ من النجاح والاستمرار فى الدراسة والاستفادة مما يقدم لهم من خبرات (١٦).

وتضيف مجموعة ثالثة من الباحثين بعدا جديدا فى تحديد معنى تكافؤ الفرص التعليمية يتمثل فى المساواة فى فرص العمل بعد التخرج، بما يجعل من التعليم وسيلة للتخلص من العوائق الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية التى تمنع القادرين ذهنياً من بين فئات الدخل المحدود فى المجتمع من الاستفادة من قدراتهم على التعلم بما يؤهلهم للترقى الاجتماعى (١٧). فعدم اطمئنان الفرد على هذا الجانب يقلل بدرجة كبيرة من اقباله على التعليم (١٨).

ومما تجدر الاشارة اليه أن الفرصة التعليمية لاتعنى التعليم فى المدارس على اختلاف انواعها فقط، انما تشمل أيضا الوان البرامج التعليمية والتدريبية المنظمة أثناء العمل وقبله، أى كل تلك الانشطة التى تقع فى مجال مايسمى بالتربية غير المدرسية أو التعليم غير الرسمى، مثل أنواع البرامج التدريبية للعمال والفلاحين، وبرامج التدريب التجديدية للعاملين فى مختلف القطاعات والبرامج الاضافية التى تقدمها بعض الجامعات لافراد البيئة المحلية وخريجيها، وكذلك من الفرص التعليمية والتربوية - أيضا - مايشمل الوان التربية غير المقصودة، الموجودة فى المجتمع، والتى تشمل الكتب والصحف والمجلات بأشكالها المتعددة، والافلام والبرامج الاذاعية والتلفزيونية ذات الاهداف التربوية، وهى تشمل فوق كل هذا أنواع الخبرات التعليمية التى يحصل عليها الافراد فى بيئتهم الاجتماعية عامة وفى محيط الاسرة والبيت على وجه الخصوص (١٩). كما أن مفهوم التكافؤ لايعنى التماثل على الاطلاق، أى أن تكون فرص التعليم التى تتاح لكل فرد هى نفس الفرص التى تتاح لاى فرد آخر فى نوعها ومداها ومقتضياتها، وانما يعنى هذا التكافؤ أن تتاح للتلاميذ أن يبدءوا فرصهم التعليمية من خط واحد، وأن يتم تقدمهم ونموهم بعد ذلك حسب جهودهم فى التحصيل وطاقاتهم على النمو، بمعنى أن يتاح لارباب القدرة المتشابهة - بصرف النظر عن انتمائهم الطبقى أو وسطهم الاجتماعى أو بيئتهم الجغرافية - أن يتمتعوا بنفس الفرص من التعليم فى مضمونه ومداه (٢٠).

مما سبق يتضح أن تكافؤ الفرص التعليمية يعنى أن يكون لكل فرد فى المجتمع فرصة متكافئة مع غيره فى الالتحاق بالتعليم - النظامى وغير النظامى وكل الوان التربية غير المقصودة - والاستمرار فيه بقدر ما تؤهله قدراته واستعداداته العقلية وميوله وجهده الذاتى، وأن يحصل على نصيب متكافىء من الخدمات التعليمية التى تقدمها حكومته، والا يعوقه أى عامل خارجى من الحصول على هذه الفرصة - سواء تعلق العامل بظروف التعليم الداخلية أم تعلق بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والاسرية فى المجتمع ككل - وكذا حقه فى الحصول على فرصة متكافئة مع غيره فى شغل الوظيفة التى تتفق مع الشهادة الدراسية أو الدرجة الجامعية الحاصل عليها.

الاركان الرئيسية التى يقوم عليها مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية :

فى ضوء التعريف السابق يتضح أن مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية يتضمن أركان أو مستويات أربعة لابد من توافرها هى :

١ - التكافؤ او العدالة فى القبول والالتحاق :

يتمثل هذا المستوى فى مظهرين أو لهما مجانية التعليم بحيث لايقف المال حائلا بين المواطن وبين الحصول على ذلك الحق الاساسى من حقوق المواطنة، وثانيهما يتمثل فى الاستناد الى مقياس موضوعى للمفاضلة بين المقبولين، اذا لم تتسع الاماكن لهم، مثل مجموع الدرجات، السن، اللياقة الصحية - وما الى ذلك، بعيدا عن التحيز لفئة معينة أو منطقة دون أخر (٢١).

٢ - التكافؤ او العدالة فى ظروف التعليم الداخلية او مايطلق عليه عدالة المعاملة :

وهو يشير الى ضرورة حصول كل فرد على فرصة متكافئة مع غيره فى الاستفادة من العناصر التعليمية التى تقدمها الدولة، وأن توزع هذه العناصر التعليمية بالتساوى بقدر الامكان بين جميع المدارس ذات المرحلة التعليمية الواحدة، والتى تقع تحت مظلة الحكومة والمنتشرة فى جميع أنحاء الدولة (٢٢)، اذ قد نعدل بين الطلاب فى

القبول ثم نميز بينهم بمعاملة بعضهم معامله خاصة بسبب الفروق الاجتماعية أو المراكز الادارية أو العقائد الدينية أو الاختلافات الحزبية - وهكذا. فالتفاوت فى مدخلات العملية التعليمية أو ظروف التعليم الداخلية مثل مدى حداثة أو قدم المبنى المدرسى، مستوى التجهيزات المدرسية ، كثافة الفصل، مستوى اعداد المعلم ... وغيرها، لها أثر على التفاوت فى الانجاز الدراسى (٢٣)، وهو مايجعل الاقتصار على التكافؤ فى القبول غير كاف لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.

ومما تجدر الاشارة اليه أن عدالة المعامله لاتعنى معاملة متشابهة لكل الاشخاص - ان لم يكن هناك ظروف متشابهة الى حد ما - ولكنها تعنى أن يعامل كل الأفراد بالتساوى (غير التشابه) وان لا تعطى معاملة أفضل لاى شخص لاعتبارات أو امتيازات خاصة، مالم يكن هناك مبررات يمكن أن تفسر الاختلافات فى المعاملة، كان تكون مبنية على اساس الجداره أو الحاجة أو الأهمية للمجتمع، فاذا كنا نؤكد على ضرورة العدالة فى المعاملة، فان هناك ظروف عديدة تكون اساسا للاختلافات فى المعاملة بين الاشخاص، ويصبح توحيد المعامله فى ظلها أمرا غير عادل، فالاعانات الماليه للطلاب توزع على أساس مدى حاجة الطلاب لهذه الاعانات، ومن ثم يختلف مقدار الاعانة من طالب الى أخر، وفى نفس الوقت توزع مكافأت التفوق للطلاب المتفوقين فقط كل حسب تقديراته - وغيرها الكثير (٢٤)

٣ - التكافؤ او العدالة فى الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع أو مايطلق عليه التكافؤ الاجتماعى :

ويقصد به أن يكون هناك تكافؤ أو تقارب بين الافراد فى الفرص الاقتصادية والاجتماعية لهم - ولو بمقدار - وبالحد الذى لايسمح بضياع فرص التعليم على أحد أو تحديدها أو التأثير فيها بسوء (٢٥)، فالتكافؤ فى القبول، وفى ظروف التعليم الداخلية، وان كان ضروري لتكافؤ الفرص التعليمية، الا أنه يعتبر غير كاف، طالما يعانى بعض هؤلاء التلاميذ من ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة أو غير طبيعية، فعدم التكافؤ

الاجتماعي يمكن أن يقف عقبة فى طريق تكافؤ الفرص التعليمية، فالظروف العائلية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى يعيش فيها التلميذ لها اثارها على درجة تقبله للتعليم وعلى انجازه بالمدرسة (٢٦)، وهو ما أكدت عليه دراسات عديدة، حتى أن احدى هذه الدراسات قد اشارت الى أن حوالى نصف الفروق فى التحصيل الدراسى، ترجع الى البيئة الاسرية للتلميذ متمثلة بصفة خاصة فى مستوى تعليم الأب والأم (٢٧)، فالظروف الاسرية والاجتماعية يمكن أن تقف حجر عثرة امام استفادة بعض التلاميذ من الخدمات التعليمية التى تقدم لهم، فالطلاب الذين يسيرون عدة كيلو مترات الى ان يصلوا الى المدرسة، لايمكن أن يتساوى مع من يأتون بسيارات خاصة، والذين يتكسون مع أربعة أو اكثر من الاخوة فى غرفة واحدة غير هؤلاء الذين لايزيدون عن اثنين، وكل منهما يستقل بحجرة .... وغيرها، فمهما كانت هناك مجانية أو تكافؤ فى الالتحاق والمعاملة داخل المدرسة فان التباينات الطبقية التى تتبدى فى مثل هذه المظاهر، لابد أن تجعل من مبدأ تكافؤ الفرص شعارا صعب التحقيق (٢٨)، ومن هنا تأتى التسهيلات الخاصة بالمواصلات والمعيشة والمنح التشجيعية - للنابهين من المتعلمين، وممن ينتمون الى اسر رقيقة الحال - وغيرها من الخدمات باعتبارها ضرورة من ضرورات تكافؤ الفرص التعليمية.

فالخدمات الاجتماعية التى تقدم للطلاب اصبحت لذلك تشكل جزءا أساسيا من مخططات أى نظام تعليمى حديث (٢٩). وانطلاقا من ذلك لايعنى تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية على مستوى التعليم النظامى - مجرد فتح أبواب المدارس، وتيسير دخولها لكل المتعلمين فى مختلف المناطق المحلية، بل لابد الى جانب ذلك من تقديم بعض الخدمات التعليمية الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية للمتعلمين حتى يمكن أن يستفيد كل متعلم استفادة حقيقية من برامج التعليم التى تقدمها المدرسة، والا زادت نسبة الفاقد فى التعليم، بسبب عدم استفادة كثير من التلاميذ من برامج التعليم التى تقدمها المدرسة لظروف صحية أو نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية، تحول بينهم الاستفادة من هذه البرامج.(٣٠)

فتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية لا يبدأ من داخل النظام التعليمي، بقدر مايبدأ أولا من خلال توفير فرص وظروف اقتصادية واجتماعية متساوية (٣١)، من خلال ازالة أنواع الاختلافات التى يضعها المجتمع ونظمه، بحيث تمنح هذه النظم امتيازات لطبقة بحكم ولادتهم فى هذه الطبقة أو تحرم فريقا آخر بحكم ولادته فى طبقة أخرى (٣٢)، ولذلك تزداد صعوبة تطبيق هذا المبدأ فى المجتمعات الاستبدادية والاقطاعية، التى تتحكم فى مجريات أمورها السياسية والاقتصادية والاجتماعية قلة أو طبقة معينة، تسخر كل طاقات المجتمع لتحقيق أغراضها الذاتيه وبدون اعتبار لمصلحة أى من المجتمع أو الفرد، ونتيجة لهذا الاستبداد تنتقل الامتيازات الطبقية من جيل الآباء الى جيل الابناء بغض النظر عن قدرات هؤلاء الابناء العقلية أو سماتهم الشخصية.(٣٣)

٤ - العدالة أو التكافؤ فى فرص العمل بعد التخرج :

نظرا للارتباط الوثيق بين التعليم وسوق العمل، فان تكافؤ الفرص التعليمية يتطلب - فى احد مستوياته - العدالة فى حصول كل فرد على فرصة مكتافئة مع غيره فى شغل الوظيفة التى تتفق مع الشهادة الدراسية أو الدرجة العلمية الحاصل عليها، ذلك أن التميز والتفرقة فى هذا الجانب- بما يجعل البعض يحصل على أعمال أفضل وأسرع من البعض الآخر- يذهب بالكثير من الآمال والطموحات التى تعد دافعا اساسيا لاقبال الناس عى التعليم، ومن ثم فعدم اطمئنان المواطن الى هذا الجانب، لابد أن يقعد الكثيرين عن ولوج أبواب التعليم مهما كان مجانيا (٣٤).

ثانيا : بعض مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية فى تراثنا الاسلامى :

بداية لابد أن نشير الى العلاقة الوثيقة بين الايدلوجية السياسية والعقائدية التى سادت المجتمع الاسلامى فى عصور ازدهاره ونظرة الاسلام لاهمية التعليم بالنسبة للفرد والمجتمع من ناحية وتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية من ناحية أخرى.

فلقد أكد الاسلام على مبدأ المساواة والعدالة فى أكمل صورتهما وجعلهما من العقائد الاساسية التى يجب أن يدين بها المسلم، فلافضل لعربى على أعجمى، ولا

لابيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح، وهو ما يتطلب ضرورة العلم والمعرفة، فأحد المسالك الرئيسية للايمان بالله وعبادته هى التأمل والتدبر والتفكير فى أياته ومخلوقاته، هذا التأمل والتدبر والتفكير لابد أن يقوم على بحث ودراسة وتعليم وتعلم (٣٥)، فالعلم اذن هو المميز بين فرد وآخر، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر اولو الالباب" (٣٦)

ولذلك أكد الاسلام على أهمية العلم والتعليم بإعتباره فريضة ألهية، وضرورة انسانية وتكليفا واجبا وملزما، فالاسلام يعتبر العلم النافع مكملا لانسانية الانسانية، فهو الاساس فى بناء الانسان الصالح الجدير بخلافة الانسان فى الارض، وبان يقيم مجتمعا فاضلا مؤسسا على تحكيم شريعة الله وعلى تقواه (٣٧)، ولذلك أصبح الحاصلون على العلم فى مرتبة عليا يقرنون فيها بالمؤمنين أو الملائكة وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى "شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط"(٣٨) "يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتو العلم درجات" (٣٩)، ولهذا كام طبيعيا أن يكون طلب العلم فى الاسلام مجرد حق للفرد يحصل عليه أولا، وانما هو واجب عبر عنه الرسول ﷺبقوله "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (٤٠).

ومن ناحية أخرى فان المسلم اذا كان مطالبا بالا يقصر ما يحصل عليه من خير على شخصه وحده مصداقا لحديث رسول الله ﷺ "لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه" (٤١) بل لابد أن يفيض به على الآخرين، ولما كان العلم صورة من صور الخير المأمور به شرعا باعتباره أحد المسالك الى الفوز برضا الله عز وجل، وأحد اهم أوجه البر، ومجال من مجالات المعروف فقد ايقن المسلمون ان قيامهم بواجب التعليم، وتوفير مقوماته بما يتيح فرص التعليم للآخرين غير المستطعين، يدخل ضمن الفرائض الواجبه على كل مسلم مستطيع (٤٢).

وفى ظل هذه التصورات أهتم المسلمون منذ مطلع العهد النبوى بالتعليم، واعتبروه الوسيلة الرئيسية لنشر الدين الاسلامى، وأسسوا له مراكزاً ونظما وطرائقا ومناهجا،

وكتبوا فى العلاقة بين المعلم والمتعلم، والاخلاق الواجبة لكل منهما والظروف التى تعين على التعلم، والعوائق التى يمكن أن تقف فى سبيل ذلك، وقد كانت التربية تبدأ من الصغر فى الاسرة بالمحاكاة والتقليد ثم ينتقل الطفل بعد ذلك الى الكتاب، والذى كان يعتبر مدرسة لتحفيظ القرآن وتأديب الصغار، بعد ذلك ينتقل النابهون من خريجى الكتاب الى حلقات العلم فى المدارس والمساجد حيث يتقنون علوم القرآن والحديث والفقه واللغه والمنطق... وغيرها، ثم ينتقل المتميزون من هؤلاء الى حلقات المناظرة والجدل فى الاماكن العامة وحوانيت الوراقين (المكتبات) حيث كانت تعقد المناظرات وتروى الشعار، وتعرض القضايا العلمية والفكرية والفلسفية (٤٣).

ومن ناحية أخرى فانه انطلاقا من اعتبار أن بذل العلم لاهله قربه الى الله، وان الانفاق على العلم وطلبه أحد وجوه البر والمعروف، فقد تسابق كل مستطيع على توفير مقوماته - بالاضافة الى السعى فى طلبه وتعليمه - كى يتيح فرص التعليم للآخرين غير المستطعين، بدءا من ابسط اشكاله الى اكثرها تعقيدا، حيث اخذت الاموال تتدفق فى صورة أوقاف يخصصها الموسرون للانفاق منها على اقامة المؤسسات التعليمية، ودفع مرتبات المعلمين، بل لقد وصل الامر الى الانفاق منها على الطلاب أنفسهم، لا من حيث تحصيل العلم فقط، انما فى المسكن والملبس والمأكل والمشرب، كما أولى المجتمع كله رجال العلم وطلابه كل جوانب الرعاية والتقدير والتبجيل، وهو ماجعل الناس تقبل على التعليم(٤٤).

كل هذه الامور جعلت فرص التربية والتعليم متاحة لكل افراد المجتمع الاسلامى فى عصور ازدهاره، طالما كانت لدي الفرد القدرة والاستعداد الشخصى لعملية التعلم، وأن الفقر لم يقف عائقا امام الراغب فى العلم والساعى اليه (٤٥) وقد تمثلت مظاهر اتاحة أو تكافؤ الفرص التعليمية امام طلاب العلم فى عصور الازدهار الاسلامى فى الجوانب التالية :

١ - بساطة ويسر التحاق الطلاب بالمؤسسات التعليمية، فالطالب فى عصور الازدهار

الاسلامية كان يتقدم الى المؤسسة التعليمية التى يريدها دون أن يطالب بدرهم واحد يدفعه، بالمسجد كان مفتوحا للناس جميعا، وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم بالمجان على يد الاستاذ الذى يودون، وكانت الحرية مكفولة للطالب فى التنقل بين من يشاء من الاساتذة دون قيد ولاشرط، كما كان له مطلق الحرية فى اختيار مايشاء من مواد الدراسة والاعراض عما لايميل اليه (٤٦). كما كان الكتاب عاما للجميع يتعلم فيه الغنى الى جانب الفقير، كما لم تكن هناك مدارس خاصة بالفقراء وغيرها للاغنياء أو لطبقة مخصوصة من ابناء الشعب، وانما كان الاعتقاد عاما بضرورة جعل التعليم فى متناول الجميع، وعدم استئثار طبقة به دون أخرى لان تلقى العلم كان بمثابة فريضة على جميع المسلمين، وقد حذر بعض العلماء والفقهاء معلمى الكتاتيب من تفضيل أبناء الأغنياء على الفقراء فى التعليم (٤٧). كما كانت طريقة التحاق الطلاب بالمدرسة غايه فى البساطة واليسر، حيث فتحت المدارس أبوابها لكل طالب علم دون أن تشترط لدراسته شروطا، اللهم الا استعداد الطالب نفسه ورغبته فى الدراسة وتقبل العلم، كما أنها لم تحدد سن معينة لالتحاق الطالب بالمدارس أو مستوى معين من الدراسة، وهو ماساعد على ان امتلأت المدارس بالدارسين وطلاب العلم فقراء وأغنياء (٤٨)

٢ - كانت معاملة المعلمين لطلابهم مظهرا هاما من مظاهر تكافؤ الفرص التعليمية، فقد حرص كل معلم على الايكون فى مجلسه مكان مميز لاحد الناس - الا لمصلحة ظاهرة، أو لما يتميز به من الفضل فى العلم -بل كان الجميع عنده سواء كان المجتمع عنده سواء، ومن سبق من الطلاب الى موضع من المكان المخصص لهم جلس فيه، ولم تكن المسألة مسألة جلوس فقط، وانما كان على المعلم ان يعامل الفقير معاملة الغنى، كما كان على الطلاب أن يقفوا موقفا مماثلا، وأن يدركوا انهم أمام المعلم وفى حلقات العلم سواسية، لا فرق بين غنى وفقير، بل الفضل للمهذب المجد ايا كان عنصره أو نصيبه من الثراء (٤٩).

والواقع انه برغم تأكيد معظم الفقهاء والمربين المسلمين على الأخلاق التى ينبغى أن يتسم بها المعلمون بصفة عامة، وعلى حسن معاملة الطلاب بصفة خاصة (٥٠)، فان هذه الأخلاق لم تكن مبادىء نظرية فقط، بل كانت روحا تتمثل فى سلوك كبار المعلمين، يؤكد ذلك ماحوته الكتب والمصادر التاريخية من أدلة واضحة على المعاملة الطيبة التى كان يعامل بها المعلمون الطلبه، منها هو العالم نجم الدين الخبوشانى الذى عينه صلاح الدين الايوبى على المدرسة الصالحية يعامل طلابه معاملة الأب لابنائه، يحاول تقصى أخبارهم والسؤال عن مشاكلهم ومحاولة حلها حتى يتفرغوا لطلب العلم، وقد خرج فى بعض الليالى يطوف على بيوت الطلبة، فنظر من الباب فرأى أحد طلابه، وقد وضع الكتاب فى يده وأنشد بعض ابيات الشعر، فلما أصبح النهار سأل الخبوشانى الطالب عما به وأخبره بما سمعه منه فى الليلة السابقة، وفى ذلك دلالة على أنه لم يكن المعلم يهتم فقط بالقاء الدروس وانما بأحوال الطلبة النفسية (٥١)، ويذكر السخاوى أنه قد بلغ من اهتمام أحد المدرسين بطلبته وكثرة افضاله عليهم أن كان البعض يسميه "وزير الطلبة" (٥٢)، يضيف أن أحدهم كان قلما يقول تلاميذى، بل يقول اصحابى تقديرا لهم (٥٣).

ومما تجدر الاشارة اليه ان المساواة فى المعاملة، لم تمنع المعلمين من اعطاء أهتمام خاص لبعض الفئات من الطلاب، حيث كانت توجه عنايه خاصة للطلاب المتفوقين والموهوبين الذين تبدو مخايل الذكاء والفطنة عليهم، وكان يعد من الظلم أن يحرم طالب نابغ من تلقى العلم لاى سبب من الاسباب، وفى ذلك يقول الامام الغزالى "انه ليس الظلم فى اعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق"، كما أهتم المعلمون بتلاميذهم الفقراء ووصلت عنايتهم بهم الى حد الانفاق عليهم من مالهم الخاص (٥٤)، بل ان بعض المدرسين كان يستدين المال ليصرف منه على طلبته واعداد المآكل الحسنة والانفاق عليهم ببعض الهدايا عند الختم (٥٥)، وقد ذكر السخاوى أن القاضى بدر الدين ابو المحاسن (ت ٨٠ ه) كان يفرق مايخصه من الوصايا على الطلبة وربما حمل الطعام وماشبهه لمن يكون عنده فى المدرسه (٥٦)، كما كان عمر بن عبد الوهاب بن بنت الاعز

(ت ٦٨٠ ه) يتفقد فقراء تلاميذه الذين كانوا فى مدرسته ويبرهم بالمطعم والدراهم بنفسه، ولايتكل فى ذلك على غلام ولا خادم (٥٧)، وحكى أبو بكر الخطيب البغدادى أن أبا يوسف قال كنت أطلب الحديث والفقه، وأنا مقل رث الحال، فجائنى ابى يوما وانا عند ابى حنيفة فانصرفت معه، فقال يابنى لاتمد رجلك مع ابى حنيفة، فان ابا حنيفة خبزه مشوى، وانت تحتاج الى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة ابى، فتفقدنى ابى حنيفة رضى الله عنه وسأل عنى، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى ما شغلك عنا، قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدى، فلما أنصرف الناس دفع الى صرة، وقال استمتع بها، فنظرت فاذا فيها مائة درهم، وقال لى الزم الحلقة، واذا فرغت هذه فاعلمنى، فلزمت الحلقه، فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى، ثم كان يتعهدنى حتى استغنيت وتمولت (٥٨). و كذلك كان الامام الشافعى – رحمه الله – يتيما فى حجر أمه وكانت فقيرة لاتستطيع أن تمده حتى بالورق والاقلام، ولكنه التحق بالمسجد وسمع من العلماء بعد حفظ القرآن، ثم انضم الى الامام مالك الذى شمله بعطفه ورعايته واحسانه حيث دبر أمره وبهذا استطاع أن يشق طريقه حتى أصبح أحد الائمة الاربعة الاعلام فى الفقه الاسلامى وصاحب المذهب الشهير (٥٩)، وقد كان لهذه المعاملة أثر بين على حالة التعليم فى العالم الاسلامى، اذ ظهرت بين المسلمين جمهرة ضخمة من العلماء الذين ينتمون الى طبقة الفقراء الكادحين من ابناء الشعب من هؤلاء أبو تمام الطائى، والجاحظ، وغيرهم (٦٠).

كما ان اهتمام المجتمع الاسلامى وعنايته بالمتعلمين لم يقف عند حد الطلاب الفقراء والمتفوقين ولكنه امتد كذلك الى المعوقين، يعبر عن ذلك كثرة العلماء والمشاهير الذين لمعوا من المعوقين، والذين ماكانوا ليشتهروا وينبغوا لولا العون الاجتماعى المسدى اليهم لتخطى عوائقهم، فضلا عن سموهم بانفسهم عن العاهات التى اصيبوا بها، وقد أهتم المؤرخون والمؤلفون فى التراجم بالحديث عن أشهر من كان فى زمنهم من المعوقين أو نبغ فى أنواع العلوم والفنون التى أرخوالها والمشتغلين بها، بل أن بعضهم خص هذه الفئات بالتأليف من هؤلاء الجاحظ، والهيثم بن عدى، وصلاح الدين الصفدى – وغيرهم (٦١).

٣ - اذا كان تكافؤ الفرص التعليمية لايقف عند الابواب بحيث يسوى بين الطلاب فى شروط القبول الالتحاق، وانما يمتد الى الداخل فيهىء فرصا متكافئة فى حياة الطلاب الاجتماعية والاقتصادية كى يتمكنوا من مواصلة السير على طريق التعلم والمذاكرة، فقد حرص افراد المجتمع والمسئولون عن التعليم فيه فى عصور الازدهار الاسلامية على تقديم العديد من التسهيلات والهبات والاعانات لطلاب العلم لتيسر عليهم سبل العلم وطريق المعرفة منذ المرحلة الاولى وحتى نهاية مراحل التعليم حيث ينتهوا من دراستهم، ويصبحوا مؤهلين للوظائف التى كان يتولها أهل العلم(٦٢).

والدارس لحجج الاوقاف التى كانت يوقفها الخيرون من الاغنياء والامراء (٦٣)، سيجد فيها شروطا متعددة يجىء فى مقدمتها أن يصرف الطالب كذا وكذا سواء من المال أو الأكل والكساء ونفس الشىء بالنسبة للمعلمين وكافة العاملين بالمؤسسة التعليمية، هذا بالاضافة الى الاقامة المستمرة طوال فترة طلب العلم فى العديد من المدارس والمساجد، وتوفير الكتب والمراجع اللازمة (٦٤)، فمساكن الطلبة كانت من أهم الوحدات المعيارية التى يجب توافرها بالمدرسة بقصد اقامة الطلبه فيها، ولضمان عدم انقطاعهم عن العملية التعليمية بها (٦٥)، كما حرص الامراء والسلاطين فى معظم العصور الاسلامية على رعاية طلاب العلم وتوفير كل مايعينهم على طلبه فكان صلاح الدين الأيوبى - مثلا - يوفر لهم كل ما يحتاجون من مساكن يأوون اليها، ويوفر لهم الخبز الذى يوزع عليهم كل يوم، ورتب لهم المدرسين فى مختلف العلوم، وهيأ لهم الرعاية الصحية وفى هذا يقول ابن جبير "اتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين (طلاب العلم) حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك، ونصب ماريستانات لعلاج من مرض منهم، ووكل لهم اطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت ايديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم (٦٦)، وأضاف ايضا ومن خلال رحلة زار فيها مصر فى عهد صلاح الدين ان من يطلب العلم يجد الامور المعينات وأولها فراغ البال، والمسكن الذى يأويه، والمعلم الذى يعلمه الفن الذى يريد والاجير الذي يقوم باحواله (٦٧).

وفى هذا الاطار يقول جيبون فى حديثه عن اهتمام المسلمين بالعلم فى الشرق والغرب "أن ولاة الاقاليم الوزراء، كانوا ينافسون الخلفاء فى اعلاء مقام العلم والعلماء، وبسط اليد فى الانفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه، حتى ان وزيرا واحدا لاحد السلاطين (هو نظام الملك) انفق مائتى الف دينار على بناء مدرسة فى بغداد، وجعل لها من الريع الذى يصرف فى شئونها خمسة عشر الف دينار فى السنة، وكان من الذين يفدون اليها من الطلاب ابن أعظم العظماء فى المملكة، وابن افقر الصناع فيها، غير ان الفقير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة، وابن الغنى يكتفى بمال ابيه (٦٨).

٤ - اذا كان تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية يقتضى ضرورة انتشار وتوزيع المؤسسات التعليمية فى كل ارجاء المجتمع مدنه وقراه، وأن تتنوع هذه المؤسسات بشكل يعكس حاجات ومطالب أفراد المجتمع، ويلبى رغبات وميول طلاب العلم، فإن الدارس لمؤسسات التعليم فى عصور الازدهار الاسلامى يجد أنها لم تأخذ شكلا واحدا جامدا، بل تعددت أشكالها بتعدد الاهداف التى كانت وراء كل مؤسسة تعليمية، فهناك الكتاب لتحفيظ القرآن ومعرفة اساسيات الدين الإسلامى وهناك المسجد الجامع لدراسات اكثر تعددا أو تعمقا، وهناك المدرسة لدراسة أكثر تخصصا وتحديدا، وتتطلب تفرغا كاملا، واقامة داخلية فيها، وهناك البيمارستانات لتلقى العلوم الطبية، والمراصد لتلقى علوم الفلك .. الى غير ذلك من المؤسسات التربوية العديدة التى أفرزتها الحاجات الجماهيرية (٦٩)، ولن نجد مدينة أو قرية اسلامية خلال عصور الازدهار الاسلامية الا ووجدنا فيها لونا من الوان هذا التعليم يتناسب وحاجات افرادها، فالخدمات التعليمية لم تكن حكرا على ابناء المدن أو منطقة معينة، بل كان التعليم بطبيعة نشأته (نظاما شعبيا) متاحا لابناء القرية والمدينة معا، وأهم من ذلك أن هذا التعليم المتاح لم يكن معزولا عن حاجات البيئة ومطالبها، كما يوسم التعليم المعاصر بعزلته وعدم تفاعله مع مطالب البيئة وحاجاتها(٧٠).

٥ - لم تعرف المجتمعات الاسلامية فى عصور ازدهارها تميزا بين الذكور والاناث فيما يتعلق بتوفير الفرص التعليمية لكلا منها، انطلاقا من أن موقف الاسلام من قضية

تعليم المرأة وتعلمها - قد تجاوز نطاق الاباحة أو الحق، الى اعتباره فريضة الهية وتكليفا واجبا وملزما، فنحن لم نجد نصا من القرآن الكريم او السنة الشريفة يحرم تعليم المرأة أو يفرض قيودا على تعليمها، بل على العكس نجد حثا على طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم مسلمه.

وعلى هذه المفاهيم قامت الحياة التعليمية منذ ان انبثق فجر الدين الاسلامي، حيث استجاب الرسول ﷺ لطلب النساء فى تعلم أمور ا لدين الحنيف، وحدد لهن وقتا خصهن بالارشاد والتوجيه والتعليم والاجابه عن اسئلتهن، شأنهن فى ذلك شأن الرجال (٧١). فالتعليم كان على اختلاف أنواعه ومصادره مطلبا عاما للذكور والاناث معا كل وفق ظروفه وقدراته وحاجاته الخاصة، وكما ظهر اسماء علماء وادباء وشعراء وفقهاء من الرجال، فقد ظهر أيضاً اسماء عالمات واديبات وشاعرات وفقهيات من النساء فى عصور الازدهار الاسلامى، وأن كل ماأثاره الفقهاء من قضايا حول تعليم المرأة انما هى نفس القضايا التى مازالت تثار حاليا حتى فى اكثر الدول تحضرا وتقدما مثل الاختلاط فى التعليم، ومايجب أن تتعلمه المرأة .. وغيرها من القضايا التى لاتمس حق المرأة فى التعليم، وانما تمس تنظيمه واشكال هذا التنظيم.(٧٢)

٦ - أن تكافؤ الفرص التعليمية فى عصور الازدهار الاسلامية، لم يقتصر - فقط على المؤسسات التعليمية الرسمية أو النظامية، بل امتد مفهوم الفرصة التعليمية الى ماتقدمه المؤسسات غير الرسمية كالمكتبات وقصور الامراء حوانيت الوراقين .. وغيرها، فقد لعبت المكتبات - على سبيل المثال- دورا بارزا فى توفير المعرفة وذيوعها فى العصور الاسلامية، خاصة وأن الكتب لم تكن متيسرة كما أنه لم يكن باستطاعة الكثيرين اقتناؤها نظرا لارتفاع اثمانها، وقلة الموجود منها فجميع الكتب كانت - في معظم هذه العصور - مخطوطات تعتمد فى كتابتها على النسخ اليدوى، اضافة الى ارتفاع اثمان مواد الكتابة من حبر وجلد وورق...وغير ذلك، كما أن وجود هذه المكتبات جنب الكثير من الطلبة جشع تجار الكتب ومغالاتهم فى

اسعارها(٧٣).

ومما تجدر الاشارة اليه ان وجود المكتبة أو الخزانة لم يقتصر على المدرسة وحدها بل وجدت فى المساجد والجوامع والزوايا والخوانق، كما حرص الامراء على انشاء مكتبات خاصة فى قصورهم (٧٤) بالاضافة الى المكتبات التى وجدت فى أغلب بيوت العلماء والفقهاء والادباء، وهو ماجعل رسالة المكتبة غير قاصرة على خدمة المدرسين والطلاب، ولكنها امتدت الى كل أفراد المجتمع.

٧ - اذا كان تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية يتطلب ضرورة أن يكون التعليم الزاميا خاصة فى مراحله الاولى فان هناك من المربين والفقهاء المسلمين من أكد على هذه الفكرة، فالقابس يرى أن تعليم جميع الصبيان ضرورى وواجب، وأن هذا الواجب هو الوجوب الشرعى على طريقة الفقهاء، ذلك أن معرفة العبادات واجبة بنص القرآن، ومعرفة القرآن واجبة أيضا لضرورتها فى الصلاة، وأن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة، فاذا لم يتيسر للوالد أن يعلم أبناءه بنفسه، فعليه أن يرسلهم الى الكتاب لتلقى العلم بالاجر، فاذا لم يكن الوالد قادرا على نفقة التعليم فاقرباؤه مكلفون بذلك، فاذا عجز أهله عن نفقة التعليم فالمحسنون مرغبون فى ذلك، أو معلم الكتاب يعلم الفقير احتسابا أو من بيت المال، بذلك وصل القابسى الى نتيجة مؤداها ضرورة ووجوب تعليم جميع أبناء المسلمين اغنياء وفقراء، وهذا المعنى قريب مما يسمى الآن التعليم الالزامى (٧٥).

٨ - برغم ان المصادر التاريخية قد اشارت الى ان بعض عصور الازدهار الاسلامية قد شهدت صوراً متعددة لتعليم خاص كان يتم فى داخل المنازل والقصور يختلف الى حد ما عما كان يتم لكافة الافراد فى المساجد والكتاتيب والمدارس .. وغيرها من معاهد التعليم الاسلامى، فان هذه المصادر قد اشارت ايضا الى بعض علماء المسلمين والمعلمين رفض ان يسلك سبيل هذا النوع من التعليم (الخاص) مفضلا التعليم العام عليه، فقد رفض عبد الله بن ادريس أن يختص المأمون بدرس وحده

الا اذا سعى له المأمون، وكان جوابه للرشيد وقد رجاه ان يحدث المأمون ان قال : ان جاءنا مع الجماعة حدثناه (٧٦) .

٩ - برغم ندرة المصادر التى تناولت طريقة التعيين فى الوظائف والاعمال المختلفة فى المجتمعات الاسلامية فى عصور ازدهارها (٧٧)، فان دراسة الشروط والصفات التى اشار الفقهاء والمربين الى ضرورة توافرها فيمن يمارسون بعض الاعمال والمهن خاصة تلك التى لها اهمية كبيرة فى حياة المجتمع كالمعلم (٧٨) والطبيب (٧٩) مثلا، يمكن أن يستدل منها العدالة فى حصول كل فرد على فرصة متكافئة مع غيره فى شغل الوظيفة التى تتفق مع ما يتمتع به من صفات ومؤهلات تتفق ومتطلبات هذه الوظيفة دون محاباة لاحد على حساب الآخر، بما قد يشير الى توفر الركن الرابع من اركان تكافؤ الفرص التعليمية.

ثالثا : الجوانب التى يمكن الإستفادة منها فى مجال تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية :

اتضح مما سبق ان ايمان المسلمين بان طلب العلم فريضة وعبادة وضرورة من ضرورات الايمان وأن بذله لاهله قربه إلى الله، جعلهم يحرصون على بذل كل جهد من أجل الحصول عليه وتوفيره لطالبيه وتذليل كافة الصعوبات التى قد تحول دون حصول كل طالب عليه بسهولة ويسر سواء من خلال مساعدة المعلمين لطلابهم واعانتهم على طلب العلم، أم من خلال فتح كافة أبواب المؤسسات التعليمية أمامهم دون تمييز بينهم بسبب النوع أو المستوى الاقتصادى، ووقف بعض الاموال للانفاق منها على هذه المؤسسات ولخدمة طلاب العلم جميعا.

والواقع أننا فى حاجة الى تأكيد هذا الدافع الدينى لدى طلاب ومعلمى اليوم لكى يبذلوا أقصى جهد مستطاع لاكتساب العلوم المختلفة، والتقليل من عوامل الهدر فى النظام التعليمى ممثلا فى الرسوب والتسرب، كما اننا فى حاجة الى توعية بعض افراد المجتمع - خاصة الاغنياء - الى أن الانفاق على التعليم يعد مجالا من مجالات البر والمعروف، وان عليهم أن يساهموا بدور فى تيسير حصول الطلاب عليه، من خلال

تخصيص جزء من أموالهم لبناء وتجهيز المؤسسات التعليمية، أو لمساعدة الطلاب الفقراء فى الحصول عليه.

- كما اتضح ايضا أن المسلمين الاوائل قد فطنوا الى اهمية الخدمات التعليمية التى تقدم للطلاب فى زيادة قدرتهم على التحصيل العلمى، ولذلك حرصوا على توفير العديد من الخدمات لطلاب العلم حتى يتفرغوا لطلبه، فاهتموا بتوفير كل ما يحتاجون اليه من مساكن يأوون اليها، وأطعمة توزع عليهم، وأطباء يتفقدون احوالهم، وخدم يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم... وغيرها الكثير، الامر الذى يدعونا الى ضرورة التفكير بجدية، واعادة النظر فيما يقترحه ويدعو اليه البعض (٨٠) من ضرورة تخلى الدولة عن بعض ما تقدمه من خدمات للطلاب كالمدن الجامعية أو التغذية أو العلاج، أو أن تعمل على رفع اسعار تقديم هذه الخدمات، زيادة الرسوم المدرسية المقررة على الطلبة، واعادة النظر فى نظام مكافئات التفوق - وغيرها من المقترحات، والتى يمكن أن تشكل عائقا يحول دون تحقيق تكافؤ الفرص بصورة كاملة.
- أن أهتمام المسلمين الاوائل ببعض الفئات الخاصة كالمتفوقين والمعاقين يعد صورة مضيئة، تجعلنا نزيد من أهتمامنا بهذه الفئات، وأن نغير اتجاهنا نحو بعضها خاصة المعوقين، وأن نؤمن بأن المعاق يمكن أن يتغلب على ظروف اعاقته باعانة المحيطين له، سواء فى محيط الاسرة أو المدرسة.
- تعد علاقة المعلمين بطلابهم فى عصور الازدهار الاسلامى صورة مضيئة هامة، لابد من الاقتداء بها فى الوقت الحالى إقتداء فى سعى المعلم فى مصالح طلابه، والمساواة بينهم، مراعاة الفروق الفردية، والتواضع والرفق بهم... وغيرها الكثير.
- وأخيرا فانه بعد هذا العرض لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية ومظاهر تطبيقه فى عصور الازدهار الاسلامى، نعود ونكرر ماسبق وذكرنا من أن ماحققته الحضارة الإسلامية فى عصور ازدهارها، كان وراءه نظام ومفاهيم وقيم تربوية، نحن الآن فى أمس الحاجة الى دراستها والوقوف أمامها للاستفادة من بعض جوانبها فى حل بعض مشكلاتنا التعليمية، أو اعادة صياغة بعض جوانب سياستنا التعليمية فى المستقبل فى ضوئها.

مراجع الدراسة

١ - على السيد الشخيبى : السياسة التعليمية وتكافؤ الفرص التعليمية فى مصر - فى كتاب التربية والمجتمع، دراسات فى بعض قضايا المجتمع المصرى - كلية التربية - جامعة عين شمس - ١٩٨٨. ص ١٢٧.

٢ - زينب محمد فريد : دراسات فى التربية - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٢ ص ١٥٣.

٣ - محمد صديق حمادة : فلسفة تكافؤ الفرص التعليمية بين النظرية والتطبيق - بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التربوى العربى - المجلد الاول - رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع الجامعة العمالية بالقاهرة - ١٩٨٩. ص ٢٧٩.

٤ - على السيد الخشيبى : مرجع سابق. ص ١٢٧

٥ - من هذه الدراسات :

- رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : دراسة تحليلية لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية - بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التربوى العربى - المجلد الاول - مرجع سابق.

- عصام الدين هلال : نحو مفهوم شامل لتكافؤ الفرص التعليمية فى مصر - دراسة مقدمة الى مؤتمر الديمقراطية والتعليم فى مصر - رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الاهرام - القاهرة - مارس ١٩٨٤.

- حسن الفقى : تكافؤ الفرص التعليمية ومجتمع الجدارة - مجلة العلوم الاجتماعية -

- حسن الفقى : تكافؤ الفرص التعليمية ومجتمع الجدارة - مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، المجلد الحادى عشر - العدد الرابع - ديسمبر ١٩٨٣.

٦ - على صالح جوهر : مجانية التعليم فى مصر الاسلامية دراسة تطورية تحليلية - مجلة كلية التربية بدمياط جامعة المنصورة - العدد العاشر الجزء الثانى - يونيه ١٩٨٨.

- زينب حسن حسن : المجانية فى مصر هل دعمت أم خربت ديمقراطية التعليم ؟ - الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - المجلد العاشر تحرير سعيد اسماعيل على - دار الثقافة للطباعه والنشر - القاهرة - ١٩٨٥.

- سامية السيد بغاغو : سياسة القبول بالجامعات ومدى تحقيقها لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية دراسة ميدانية على جامعة طنطا - رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية التربية جامعة طنطا ١٩٨٥.

٧ - **من هذه الدراسات :**

محمد صديق حمادة : مرجع سابق.

- على السيد الشيخيبى : مرجع سابق.

- عنتر لطفى محمد : تكافؤ الفرص التعليمية فى التعليم المصرى بين النظرية والتطبيق - بحوث مؤتمر نحو مشروع حضارى تربوى - رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع كلية التربية - جامعة عين شمس - ابريل ١٩٨٧.

- حمدى حسن عبد الحميد على : مدى تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية فى التعليم الجامعى المصرى - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة الزقازيق - ١٩٨٢.

عبد التواب عبد اللاه عبد التواب : تكافؤ الفرص فى التعليم الثانوى فى جمهورية مصر العربية وتأثره بالاوضاع الاجتماعية الاقتصادية للتلميذ "دراسة ميدانية" - رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية جامعة أسيوط - ١٩٧٨.

٨ - انظر فى ذلك - رمضان أحمد عيد : دراسة مقارنة لوسائل تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية فى المرحلة الثانوية فى مصر وانجلترا والهند - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٨٥.

- السيد عبد العزيز البهواش : السياسة التعليمية وتكافؤ الفرص دراسة مقارنة بين مصروالیابان، بحوث المؤتمر الثانى عشر لرابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع كلية التربية جامعة المنصورة "السياسات التعليمية فى الوطن العربى "المجلد الاول - يوليو ١٩٩٢.

٩ - سعيد اسماعيل على : أهداف المدارس الاسلامية - مجلة المسلم المعاصر - السنة السادسة عشر - العدد الثالث والستون - المعهد العالى للفكر الاسلامى - بيروت - فبراير / ابريل ١٩٩٢. ص ١٠٧.

١٠ - عبر الرحمن النقيب : ديمقراطية التعليم فى عصور الازدهار الاسلامى دروس مستفادة - الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - المجلد العاشر - مرجع سابق. ص ١٢٩.

١١ - عبد الغنى عبود : بدراسة مقارنة لتاريخ التربية - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨. ص١٩٨.

١٢ - عبد الرحمن النقيب . مرجع سابق - ص ١٩٣.

١٣ - محمد صديق حمادة : مرجع سابق ص ٢٨١.

١٤ - منير المرسى سرحان : في اجتماعيات التربية - الطبعة الثالثة - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٢. ص ٢٥٩

١٥ - سعيد اسماعيل على : محنة التعليم فى مصر - كتاب الاهالي - العدد الرابع - جريدة الاهالى - القاهرة - نوفمبر ١٩٨٤. ص ١٠٣.

١٦ - محمد صديق حمادة : مرجع سابق. ص ٢٨٢

١٧ - المرجع السابق : ص ٢٨٣

١٨ - زينب حسن حسن : مرجع سابق. ص ١١٩

١٩ - زينب محمد فريد : مرجع سابق ص ١٤٣

٢٠ - حامد عمار : فى بناء البشر، دراسات فى التغير الحضارى الفكر التربوى - المركز العربى للبحث والنشر - القاهرة - ١٩٨٢ ص ٦٥

٢١ - زينب حسن حسن : مرجع سابق. ص ١٣٣

٢٢ - على السيد الشخيبى : مرجع سابق. ص١٣٢

٢٣ - محمد صديق حماده : مرجع سابق. ص ٢٨٢

٢٤ - رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : مرجع سابق . ص ١٥٢ - ١٥٣

٢٥ - محمد أحمد الغنام : مسئولية التعليم فى تذويب الفوارق بين الطبقات فى مجتمعنا - صحيفة التربية - القاهرة - نوفمبر ١٩٦٢. ص ١٠٩

٢٦ - رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : مرجع سابق. ص ١٥٦

٢٧ - لمزيد من التفصيل عن بعض هذه الدراسات يكمن الرجوع الى المرجع السابق ص ١٥٦ - ١٦٠

٢٨ - زينب حسن حسن : مرجع سابق، ص ١١٩.

٢٩ - فوزى يوسف سليمان : الخدمات الاجتماعية لطلاب الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة وكل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية دراسة مقارنه - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس - ١٩٧٠، ص ٣٠١.

٣٠ - عبد الغنى عبود - ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨ ص ٩٣.

٣١ - مهرى أمين دياب : الاحتياجات التربوية لعمال الزراعة فى قريه مصرية "الحوته بحيرة" "دراسة حالة" رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس - ١٩٨٢، ص ٨٩

٣٢ - حامد عمار : مرجع سابق، ص ٦٥

٣٣ - على السيد الشخيبى : مرجع سابق، ص ١٣٠

٣٤ - زينب حسن حسن : مرجع سابق، ص ١١٩

٣٥ - سعيد اسماعيل على : رؤية اسلامية معاصرة للمسالة التعليمية - مجلة الوعى الاسلامى السنة (٣٠) العدد ٣٣٠ - وزارة الاوقاف الشئون الاسلامية بدولة الكويت - أغسطس، ١٩٩٣، ص ٦١.

٣٦ - سورة الزمر : أية ٩.

٣٧ - زغلول راغب النجار : ازمة التعليم المعاصر وحلولها الاسلامية - المعهد العالى للفكر الاسلامى ١٩٩٠، ص ٢٣٨

٣٨ - سورة ال عمران : أية ١٨.

٣٩ – سورة المجادلة : اية ١١.

٤٠ – جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى : الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير. دار القلم للتراث – القاهرة د.ت. ص ١٩٤

٤١ – المرجع السابق. ص

٤٢ – سعيد اسماعيل على : رؤية اسلامية معاصرة للمسألة التعليمية مرجع سابق ص٦٢

٤٣ – زغلول راغب النجار : مرجع سابق ص ١١٨

٤٤ – سعيد اسماعيل على : التعليم المصرى بين القطاع العام والقطاع الخاص – دراسات تربوية. المجلد السابع – الجزء ٤٥ – سلسلة ابحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة – القاهرة – ١٩٩٢. ص ٤٥

٤٥ – أحمد شلبى : التربية والتعليم فى الفكر الاسلامى – الطبعة الثامنة – مكتبة النهضة العربية – القاهرة – ١٩٨٧. ص ٢٩٦

٤٦ – محمد عبد الرحيم ابو غنيمة : تطور التعليم الجامعى فى الاسلام – رسالة ماجستير غير منشورة كلية الأداب – جامعة القاهرة – ١٩٥٢.ص ١٨٠.

٤٧ – سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٢.ص ٢٠٠.

٤٨ – حسن ابراهيم عبد العال : فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة– مكتب التربية العربى لدول الخليج – الرياض – ١٩٨٥. ص ٥٦.

٤٩ – أحمد شلبى : مرجع سابق. ص ٢٩٦.

٥٠ – لمزيد من التفصيل عن هذه الشروط الأخلاق يمكن الرجوع الى :

– الخطيب البغدادى (ابو بكر احمد بن على بن ثابت) كتاب الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع –تحقيق أحمد رأفت سعيد – مكتبة الفالح – الكويت – ١٩٨١.

– ابن جماعة (بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة) : تذكرة السامع والمتكلم فى ادب العالم والمتعلم – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ.

٥١ – عفاف سيد محمد صبره : المدارس فى العصر الايوبى – فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية اعده للنشر عبد العظيم رمضان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٢. ص١٨٨.

٥٢ – السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع عشر – جـ٥ مكتبة القدس – القاهرة – ١٣٥٣هـ. ص ٢٦٣.

٥٣ – المرجع السابق – جـ١٢. ص ٩ ، ١٠.

٥٤ – أحمد شلبى : مرجع سابق. ص ٢٩٧.

٥٥ – السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) مرجع سابق – جـ٦ ص ١٨١ – ١٨٢.

٥٦ – السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) : الذيل على رفع الاصر أو بغية العلماء والرواه – تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح، مراجعة على البيجاوى – الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر – القاهرة. د.ت ص ٣٥٢ – ٣٥٣.

٥٧ – المرجع السابق : ص ٤٥٩ – ٤٦٠.

٥٨ – ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر) : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان جـ٢ – دار صادر – بيروت – ١٩٦٩. ص ٤٠١.

٥٩ – المرجع السابق : ص ٤٠١.

٦٠ – أحمد شلبى : مرجع سابق ص ٢٩٨.

٦١ – عبد الستار ابو غدة : رعاية المعوقين فى الاسلام – المسلم المعاصر – العدد (٣٤) – بيروت فبراير ١٩٨٣. ص ١١٩.

٦٢ – محمد محمد عبد القادر الخطيب : دراسات فى تاريخ الحضارة الاسلامية – مطبعة الحسين الاسلامية – القاهرة – ١٩٩١ – ص ٢٣٢.

٦٣ – لمزيد من التفاصيل عن الاوقاف ودورها فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية فى المجتمع يمكن الرجوع الى :

– محمد محمد أمين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر دراسة تاريخية وثائقية – دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٨٠.

– مجاهد توفيق الجندى : دراسات وبحوث جديدة فى تاريخ التربية الاسلامية – دار الوفاء للطباعة – القاهرة – ١٩٨٤.

– محمد عفيفى : الاوقاف الحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩١.

٦٤ – ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية – جـ٢ – دار الشعب – القاهرة – ١٩٧٦. ص ٤١.

٦٥ – مصطفى عبد الله محمد شيحه : دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية – اعدها للنشر عبد العظيم رمضان – مرجع سابق. ص ٤١٤.

٦٦ - ابن جبير (ابو الحسن محمد احمد الكناني الاندلسي) - رحلة ابن جبير -دار صادر - بيروت ١٩٨٨. ص١٥. نقلا عن : عفاف سعد محمد صبره : مرجع سابق. ص١٨٦.

٦٧ - المرجع السابق : ص ١٨٦.

٦٨ - الامام محمد عبده : الاسلام بين العلم والمدنية "٢". سلسلة المواجهة والتنوير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٣ ص ١٣١.

٦٩ - لمزيد من التفصيل عن هذه المؤسسات يمكن الرجوع الى :

سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٦.

٧٠ - عبد الرحمن النقيب : مرجع سابق. ص ٢٠٠ - ٢٠١.

٧١ - جمال على الدهشان : تعليم المرأة من منظور اسلامى - مجلة العلوم التربوية والنفسية كلية التربية - جامعة المنوفية - السنه السابعة - العدد الثالث - يوليو ١٩٩١. ص ١١٩ - ١٢٠.

٧٢ - عبد الرحمن النقيب : مرجع سابق. ص ٢٠٣.

٧٣ - عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الايوبيين والمماليك - دار المعارف القاهرة ص ٢٤٨.

٧٤ - زبيدة محمد عطا : مكتبات المدارس "خزانة الكتب" فى العصرين الايوبى والمملوكى - فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية - مرجع سابق. ص ٢١١.

٧٥ - أحمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٠. ص١٠٣

٧٦ – سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية – مرجع سابق. ص ٢٠٤

٧٧ – من المصادر التى تحدث عن بعض الوظائف فى العهد النبوى :

– العلامة الشيخ عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية – دار الكتاب العربى – جزءان – بيروت – د.ت.

٧٨ – لمزيد من التفصيل عن الشروط التى ينبغى ان تتوافر فى معلمى الكتاتيب يمكن الرجوع الى :

– حسن ابراهيم عبد العال : التعليم الابتدائى فى تراثنا الاسلامى فى كتاب عبد الغنى عبود وآخرون – فلسفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٨٢

٧٩ – لمزيد من التفصيل عن الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى الطبيب يمكن الرجوع الى :

– عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : الاعداد التربوى والمهنى للطبيب عند المسلمين – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٨٤.

٨٠ – من الدراسات التى اشارت الى بعض هذه الاقتراحات :

– محمد صبرى الحوت : تعبئة موارد مالية اضافية للتعليم العالى مصر – مجلة كلية التربية جامعة الزقازيق – السنة الثالثة – العدد السابع – سبتمبر ١٩٨٨

– شكرى عباس حلمى : اقتصاديات التعليم الجامعى فى مصر – بحث مقدم الى ندوة سياسية التعليم الجامعى – الابعاد السياسية والاقتصادية التى نظمها مركز البحوث والدراسات السياسية – بجامعة القاهرة فى الفترة من ٢٤ – ٢٥ يناير ١٩٩٠.

الفصـــــل الخامـــــس

==============

"دراســـــة عـــن"
الخدمات الطلابية فى مصر زمن الايوبيين و المماليك

- مقدمـــــــــة
- مشكلـــــة الدراســـــة
- هـــدف الدراســـــة
- أهميـــة الدراســـــة
- حـدود الدراســـــة
- منهـج الدراســـــة
- خطـــوات الدراســـــة

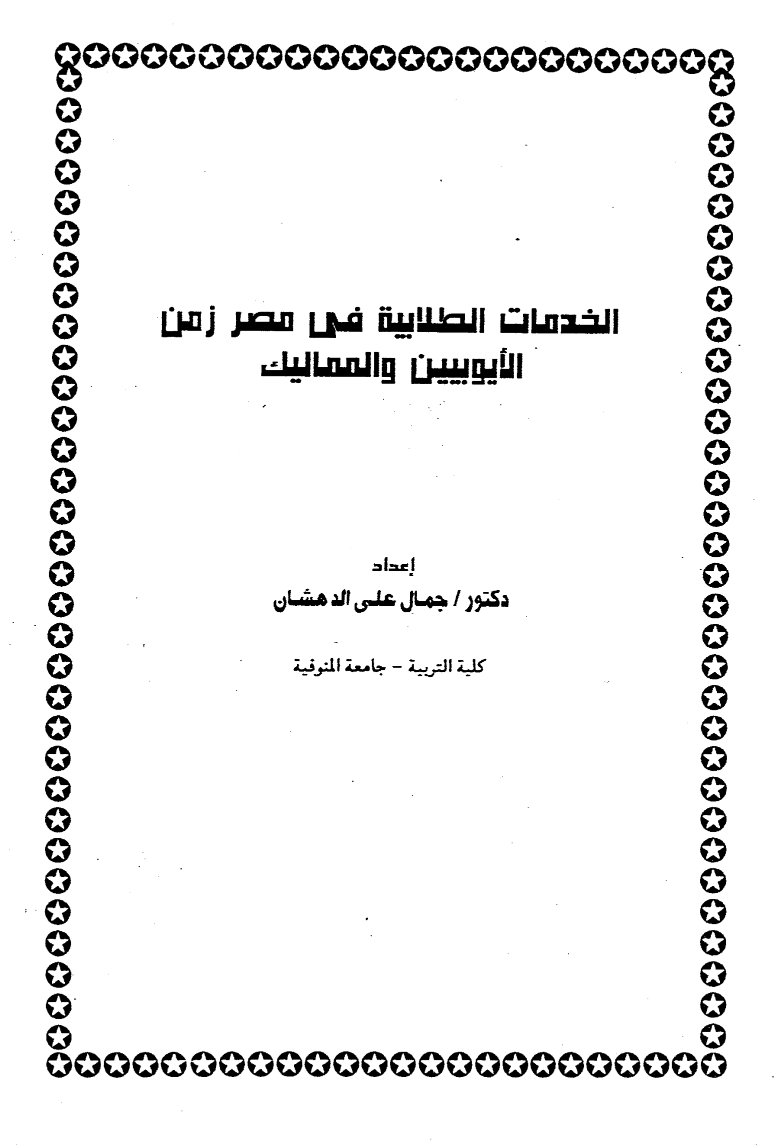
أولا : الخدمات الطلابية مفهومهـا ، أهميتهـا ، مجالاتها

ثانيا : أحوال المجتمع المصرى زمن الأيوبيين و المماليك و علاقتها بالخدمات الطلابية

ثالثا : ملامح النظام التعليمى فى مصر زمن الايوبيين و المماليك و ارتباطها بالخدمات الطلابية -

رابعا : الخدمات التى قدمت لطلاب العلم فى مصر زمن الايوبيين و المماليك٠

خامسا : الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال الخدمات الطلابية فى الوقت الحالى ٠



الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك

إعداد

دكتور / جمال على الدهشان

كلية التربية - جامعة المنوفية

الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبين والمماليك

د. جمال علي الدهشان

كلية التربية – جامعة المنوفية

مقدمة

يمثل عصرالأيوبيين والمماليك – والذى امتد بين أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) وأوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادى) – الحلقة الثالثة والأخيرة *من تاريخ مصر فى العصور الوسطى الاسلامية الممتدة من الفترة الزمنية الواقعة بين الفتح العربى لمصر (٢١هـ/٦٤١م) والغزو العثمانى لها (٩٢٣هـ/١٥١٧م) (١).

وقد حرص المؤرخون على الجمع بين الدولة الأيوبية ودولة المماليك (البحرية الجراكسة) فى وحدة متكاملة ، لأن التغيرات التى حدثت لمكانة مصر السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية ووضعها فى العالم الاسلامى ، وتنامت مع قيام الدولة الأيوبية ، ظلت فى نمو حتى أواخر حكم دولة سلاطين المماليك ، ومن ناحية أخرى أبقى المماليك – بعد سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولتهم – على النظم والأوضاع المألوفة عن السلاجقة التى أحضرها الأيوبيون معهم إلى مصر ، وطبقوها فيها لأول مرة منذ الفتح العربى لها ، فالمماليك لم يرثوا أملاك ونفوذ الدولة الأيوبية فى مصر فحسب بل ورثوا عنها أركان سياستها ونظمها الداخلية ، وهو ماجعل من حكم هاتين الدولتين وحدة متكاملة ذات طابع خاص فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى الإسلامية (٢)

ولقد اكتسب تاريخ مصر خلال هذه الفترة طابعا له ملامحه المميزة ، ذلك أن الأمر يقتصر على استعادة مصر لوجهها السنى بسقوط الدولة الفاطمية ، وقيام دولة بنى أيوب ، بل كانت مصر طوال هذه الفترة حصن الاسلام الحصين ، وقلب المقاومة الاسلامية ضد القوى المعادية للإسلام خاصة ضد الصليبيين والمغول ، فصلاح الدين الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية لم يرث عن سيده نور الدين محمود دولته فى مصر والشام فحسب بل أهم من ذلك ورث عنه سياسته فى تجميع القوى الاسلامية فى الشرق الأدنى للنهوض بحركة جهاد كبرى ضد القوى المعادية للإسلام ، وهذه السياسة نفسها هى التى تمسك بها سلاطين المماليك (٣) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن عصر الأيوبيين والمماليك لم يكن عصر نشاط حربى فحسب ، بل كان أيضا عصرا حضاريا واسع النطاق شمل النواحى السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية ، وأدى الى قيام نهضة علمية كبيرة فى مصر شملت الآداب والعلوم والفنون ، وبلغت أوجها فى عصر سلاطين المماليك ، حتى أن

بعض المؤرخين قد أطلق عليها النهضة الثانية فى الاسلام (٤) .

ولقد توافرت للحركة العلمية الزاهرة التى شهدتها مصر فى زمن الأيوبيين والمماليك عوامل عديدة ساعدت على ازدهارها * لعل من أهمها ماعرف عن حب وتقدير سلاطين الأيوبيين والمماليك وامرائهم للعلم والعلماء ، وماقدموه من تسهيلات واعانات وهبات ورعاية لطلاب العالم ، وماتمتع به طلاب العلم فى ذلك العصر من خدمات عديدة ، نحن الآن فى أمس الحاجة إلى التعرف عليها ، وتوضيحها ، وبيان دورها فى ازدهار الحركة العلمية فى ذلك العصر .

والواقع أنه على الرغم من أهمية الخدمات الطلابية وضرورتها لنجاح العملية التربوية ، فإن الدراسات التى تناولت هذا الجانب الهام من جوانب العملية التربوية مازالت محدودة وقليلة منها دراسة فوزى سليمان (١٩٧٠) (٥) والتى سعت الى دراسة الخدمات الاجتماعية لطلاب الجامعات فى كل من مصر وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ودراسة خالد الحيدر Al- Haider (١٩٨٦) (٦) عن تقييم الخدمات الطلابية بجامعة الملك فيصل من وجهة نظر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والعاملين بالجامعة ، ودراسة جون John R.A (١٩٨٦) (٧) عن الخدمات الطلابية بكلية التربية بجامعة توليدو ، ودراسة كانجان (١٩٨٦) (٨) عن الخدمات الطلابية بكليات شمال شرق تايلاند ، ودراسة محمد ابراهيم طه خليل (١٩٨٨) (٩) عن جوانب الرعاية الطلابية بجامعة طنطا ، ودراسة عبد العزيز الدعيج (١٩٩٤) (١٠) عن وجهة نظر أولياء الأمور فى الخدمات التربوية والتعليمية التى تقدمها مدارس التعليم العام للطلبة بدولة الكويت ، هذا بالاضافة الى بعض التقارير التى تكتبها بعض الجهات الرسمية ، وهو مايتطلب ضرورة أن نولى هذا الجانب التربوى الهام مزيدا من البحوث والدراسات ، ليس اعتمادا فقط على دراسة واقع هذه الخدمات أو مقارنة مايقدم من جانب خدمات طلابية فى مصر بغيره من الدول الأخرى ، لكن بالإضافة الى ذلك لابد من دراسة ماقدم لطلاب العلم من العصور التى شهدت نهضة علمية وفكرية واسعة النطاق .

مشكلة الدراسة

تتحدد مشكلة الدراسة الحالية فى محاولة الاجابة عن التساؤلات التالية :-

١- مامعنى الخدمات الطلابية ؟ ومامجالاتها ؟ وما أهميتها بالنسبة للعملية التربوية ، ولاعداد طالب العلم اعداداً متكاملاً ؟

٢- ما أحوال المجتمع المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك ؟ وعلاقة ذلك بالخدمات التى قدمت لطلاب العلم ؟

٣- ما أهم ملامح النظام التعليمى فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، وارتباط ذلك بالخدمات التى قدمت لطلاب العلم ؟

٤- ما الخدمات التى قدمت لطلاب العلم فى مصر زمنالأيوبيين والمماليك ؟

٥- ما أهم الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال الخدمات الطلابية فى الوقت الحالى ؟

هدف الدراسة

تسعى الدراسة الحالية الى التعرف على الخدمات التى قدمت لطلاب العلم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، ومدى ارتباط هذه الخدمات بالظروف السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية فى ذلك العصر فى محاولة للاستفادة من ذلك فى التأكيد على ضرورة الاهتمام بهذ الجانب الهام من جوانب العملية التعليمية ، والعمل على تطوير هذه الخدمات فى مجتمعنا .

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة فى النواحى التالية :-

١- انها تتناول جانباً من الجوانب التى تسهم بدور كبير فى العملية التربوية وتساعد على تنمية شخصية الطلاب تنمية شاملة متوازنة ، فمن الأمور الهامة فى أى نظام تعليمى مايتعلق بالخدمات الطلابية التى توفرها المؤسسة التعليمية ، وفى مقدمتها خدمات الاقامة والترفيه والرعاية الاجتماعية والصحية للطلاب (١١) .

٢- انها تتناول هذه الخدمات فى عصر من عصور الهيبة والقوة بالنسبة لمصر الاسلامية ؟*فى العصور الوسطى فهو - عصرالأيوبيين والمماليك - لم يكن عصراً من العصور الهادئة أو الخامدة فى التاريخ ، وانما كان عصر حركة دائمة ونشاط دائب ، فى الخارج حروب وتوسع وانتصارات ترتب عليها تأمين الوطن الاسلامى فى الشرق الأدنى ، وفى الداخل حياة صاخبة حافلة بالتيارات الاقتصادية والدينية والاجتماعية والعلمية (١٢)

٣- انه مما يزيد من أهمية هذه الدراسة قلة الدراسات التى تناولت هذا الجانب الهام من جوانب العملية التربوية .

حدود الدراسة

تقتصر الدراسة على فترة حكم الأيوبيين والمماليك لمصر ، والتى بدأت بسقوط الخلافة الفاطمية بمصر ، وتولى صلاح الدين الأيوبى الحكم ، واستمرت حتى الغزو العثمانى لمصر ، وهى تشمل الفترة الزمنية والواقعة بين (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) ، (٩٢٢هـ/ ١٥١٧م) ، وقد شملت هذه الفترة دولتين : -

أ - **الدولة الأيوبية** : وهى التى امتد حكمها الفترة الزمنية من (٥٦٥هـ - ١١٦٩م) الى (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) .

ب- الدولة المملوكية : وهى التى امتد حكمها الفترة الزمنيـــــة من (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) الى (٩٢٢هـ/ ١٥١٧م) ، ويقسم المؤرخون هذه الفترة الزمنية الى دولتين :-

- دولة المماليك الترك أو البحرية : امتد حكمها من (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) الى (٧٨٤هـ/١٣٨١م)

- دولة المماليك الجراكسة أو البرجية : أمتد حكمها من (٧٨٤هـ/ ١٣٨١م) الى (٩٢٢هـ/ ١٣٨١م)

كما تقتصر الدراسة فى تناولها للخدمات الطلابية على المجالات التالية :

١- خدمات الاقامة والسكن
٢- خدمات التغذية والاعانات المالية
٣- الخدمات المكتبية
٤- الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية
٥- خدمات التوجيه والارشاد الطلابى .

منهج الدراسة

أعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخى فى محاولة للتعرف على أهم الخدمات الطلابية فى عصر الأيوبيين والمماليك ، وربطها بالقوى التى اثرت فيها خلال هذا العصر ، وذلك بالرجوع الى المصادر الأولية التى تناولت ذلك العصر ، وكذلك الاستعانة بالمصادر الثانوية ذات الصلة بالموضوع .

خطوات الدراسة

فى ضوء تساؤلات الدراسة وأهدافها سارت خطتها وفق خمس خطوات على النحو التالى :

أولاً : الخدمات الطلابية ، مفهومها ، اهميتها ، مجالاتها :

كلمة خدمة تعنى مجهود أو مجهودات هادفة تبذل لتحقيق فائدة أو منفعة أو لايقاف ضرر واقع أو محتمل الوقوع (١٣) .

والواقع أن مصطلح الخدمات الطلابية يرتبط بغيره من المصطلحات الأخرى مثل مصطلح الرعاية ، المساعدات الطلابية والخدمات التعليمية والمدرسية ... وغيرها ، وان كانت هذه المصطلحات تختلف فى بعض جوانبها عن مصطلح الخدمات الطلابية .

فمصطلح الخدمات الطلابية أشمل وأعم من مصطلح الخدمات التعليمية والذى يقتصر على الخدمات المرتبطة بالجوانب التعليمية والمعرفية دون غيرها من النواحى التربوية ، كما أنه أشمل من مصطلح الخدمات المدرسية والتى تتعلق بخدمات المبنى المدرسى والمتمثلة فى وجود المكان المناسب ، وتزويد المبنى بالمقاعد والتجهيزات ... وغيرها من الساحات والمختبرات والحدائق التى تعد ضرورة للعملية التعليمية (١٤) .

كذلك يقتصر مصطلح المساعدات الطلابية فقط على أشكال المساعدات المادية أو النقدية مثل النفقات

الدراسية ، أو القروض المالية للطلاب ، أو المنح الدراسية المجانية أو المدعومة (١٥) انطلاقا من ذلك يعرف الباحث الخدمات الطلابية بأنها مجموعة الجهود أو المساعدات التى تقدمها معاهد التعليم المختلفة أو أفراد المجتمع بقصد مساعدة الطلاب على حل مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية ، واتاحة الفرصة للتحصيل العلمى الجيد ، من خلال توفير المناخ الملائم داخل قاعات الدرس وخارجها لتحقيق النمو المتكامل للطلاب .

اهمية الخدمات الطلابية

تكمن أهمية الخدمات الطلابية فى النواحى التالية :

١- الخدمات الطلابية ضرورة لتحقيق مبدا تكافؤ الفرص التعليمية

فتعدد وتنوع معاهد التعليم ، وتوزيعها فى كل ارجاء المجتمع مدنه وقراه ، ويسر وبساطة التحاق الطلاب بهذه المعاهد ، مع تقديم بعض الاعانات والهبات لهم ، اضافة الى تقديم بعض الاستشارات النفسية والاجتماعية ... وغيرها من الخدمات الطلابية ، تجعل فرص التعليم فى متناول الجميع فقراء وأغنياء ، من أهل البلاد أصليين أم من الوافدين عليها ، وتجعلها مكفولة لكل طالب علم وراغب فيه (١٦) ، وهو يحول دون ضياع فرص التعليم على أحد أو تحديدها أو التأثير فيها بسوء ، ويجعل من مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أمرا واقعا ملموساً . (١٧)

والواقع أن توفير بعض الخدمات لطلاب العلم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك قد جعل فرص التربية والتعليم متاحة لكل أفراد المجتمع ، طالما كانت لدى الفرد القدرة والاستعداد الشخصى لعملية التعليم ، وأن الفقر لم يقف عائقا أمام الراغب فى العلم والساعى اليه (١٨)

٢- الخدمات الطلابية وسيلة لتحقيق النمو المتكامل للطلاب

فالخدمات الطلابية يمكن أن تسهم فى تهيئة الظروف المناسبة لزيادة عمليات التعليم والتعلم ، وتوفير فرص واسعة وكثيرة للمواقف والعلاقات الاجتماعية المرغوبة ، واتاحة الفرص الكافية للتوجيه الفردى والجماعى ... وغيرها من الأمور التى تسهم فى نمو الطلاب نموا سليما متكاملا عقليا وجسيما وروحيا واجتماعيا (١٩)

كما أن الأنشطة الطلابية التى توفرها المؤسسة التعليمية تسهم فى تزويد الطلاب بطائفة من القدرات والمهارات التى يمكن أن تفيدهم فى حياتهم المقبلة . ولعل ذلك هو ما دعا استين ††Astin الى التأكيد أن كثيرا من القادة فى ادارة الاعمال والصناعة والحكومة كانوا من قبل قواد فى كلياتهم وكثيرا من الممثلين الناجحين تلقوا خبرتهم الأولى فى مسرح الكلية (٢٠) .

٣-الخدمات الطلابية تعين على التحصيل الدراسى وتحقيق الأهداف المتوخاة من المؤسسة التعليمية

تلعب الخدمات الطلابية - بجوانبها المختلفة - التى تقدم دورا هاما فى زيادة قدرتهم على التحصيل الدراسى ، من خلال توفير الظروف المناسبة لعمليات التعـــليم والتعلم حتى يتمكن كل طالب من الاستفادة من برامج التعليم التى تقدمها المؤسسة التعليمية الى أقصى حد ممكن بغــض النظر عـــن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والصحية له ، والتى يكون لها فى الـــغالب تأثيرا واضحا على عملية التحصيل الدراسى (٢١) .

فنظام الداخلية بالمدارس - مثلا - الذى كان سمة مميزة لمدارس مصر طوال عـــهد الأيوبيين والمماليك ، ساعد على توفير الجو العلمى المناسب للطلاب والمعلمين لينقطعوا لطلب العلم ، بعد أن تكفل مؤســـو المدارس بتوفير مايلزم المقيمين بها من المأكل والملبس بجانب مايتقاضونه من معاليم شهرية (٢٢) .

٤- الخدمات الطلابية وسيلة هامة لحل المشكلات الاجتماعية للطلاب ووسيلة لحمايتهم من الانحراف.

يواجه المتعلم فى بداية التحاقه بالمؤســـسات التعليمية بالعديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتعليمية تتمثل فى مشكلات الشعور عند بدء التحاقه بهذه المؤسسات وهو ماأطلق عليه البعض (صدمة المدرسة) ، والمشكلات الناجمة عن التغرب والبعد عن الأسرة - خاصة الطالب الجامعى - والمشكلات الخاصة بكيفية قضاء وقت الفراغ ، والاشتراك فى الأنشطة الطلابية ، بالاضافة الى المشكلات المالية ومشكلات الاقامة والاســـتذكار خاصة بالنسبة للطلاب الفقراء والمغتربين (٢٣) .

والخدمات الطلابية التى توفرها المؤســـسات التعليمية المختلفة تعين الطالب على التغلب على معظم هذه المشـــكلات من خلال ماتقدمه هذه المؤســـسات للطلاب من اعانات مالية وقروض ، ومن خدمات الاقامة والتغذية ، بالاضافة الى خدمات التوجيه والارشاد النفسى والاكاديمى التى يتم من خلالها توجيه النصح لهم فيما يتعلق بمشاكلهم الصحية والشخصية ، وتوجيههم فى دراستهم ومساعدتهم على تحقيق الانسجام فى حياتهم الدراسية ، وتجنبهم الوقوع فى بعض الانحرافات الاجتماعية والاخلاقية .

مجالات الخدمات الطلابية

إن الدارس لتاريخ التربية بصفة عامة والمؤسسات التربوية بصفة خاصة سيجد أن النواحى المتعلقة بالخدمات الطلابية لم تكن خافية على الراعين الأوائل للتعليم ، فحينما أسست المؤسسات التعليمية وجدت بعض النظم لإعالة طلابها ، وتوفير بعض الظروف لتمكينهم من التحصيل العلمى والنمو المتكامل ، وقد أخذت هذه المؤسسات تطور من خدماتها الاجتماعية على مر العصور متخذة فى ذلك طابعا للحياة التعليمية يتفق وحاجات طلابها ورغباتهم ، حيث تعددت هذه الخدمات فشملت النواحى المادية والترفيهية والثقافية والصحية ، وأنشئت لذلك أقسام وادارات خاصة مزودة بالإخصائيين فى مختلف هذه النواحى (٢٤) .

فالخدمات الطلابية مجالاتها متعددة ويمكن أن تشمل النواحى التالية :

١- خدمات الإقامة والتغذية

وتتمثل هذه الخدمات فيما توفره الدولة أو أفراد المجتمع من مساكن لاقامة الطلاب خاصة المغتربين جغرافيا ، وذوى الظروف الخاصة (الفقراء - المعوقين) ، بأجور رمزية وأحيانا مجانا ، وفيما توفره - أيضا - من مطاعم تقدم لهم الغذاء مجانا ، أو بأقل من ثمن تكلفته ، وتتحمل الدول الفرق من ميزانيتها أو من تبرعات بعض أفراد المجتمع .

٢- الخدمات المالية والعينية

وتتمثل فيما تقدمه الدولة أو أفراد المجتمع للطلاب من مساعدات مالية لتغطية بعض نفقات تعليمهم كشراء الكتب ، سداد رسوم الاقامة فى المدن الجامعية ، سداد الرسوم الدراسية ، كما تتمثل فى منح الطلاب المتفوقين مكافأت دراسية لتشجعهم على التفوق الدراسى ، اضافة الى الخدمات التى تقدم ذوى الفئات الخاصة والتى تتمثل فى شراء أطراف صناعية وكراسى متحركة ، ودرجات للمعوقين ، وبعض الخدمات العامة للمكفوفين من قراءة وتسجيل ودروس ومحاضرات على شرائط كاسيت ... وغيرها .

٣- الخدمات الصحية العلاجية والوقائية

وتتضمن هذه الخدمات الفحص الطبى الشامل من كل طالب مستجد خلال ايامه بالمؤسسة التعليمية ، وتقديم المشورة الطبية له عندما يطلبها وتقديم العلاج أو اجراء العمليات الجراحية له فى حالة مرضه ، بالاضافة الى الاستشارات النفسية للطلاب المعتلين نفسياً ، مع الاحتفاظ بسجل كامل للحالة الصحية والبدنية للطالب خلال فترة دراسته. (٢٥) اضافة الى خدمات التوعية للوقاية من الأمراض .

٤- خدمات التوجيه والإرشاد الطلابى

وتعتبر تلك جوهر الخدمات الطلابية وعصبها الحيوى ، لما تقدمه من خدمة طلابية شاملة متكاملة تساعد الطلبة على تحقيق أعلى درجة من النمو والتوافق السوى النفسى ، الاجتماعى الاكاديمى ، والمهنى . (٢٦) إذ تشمل إبداء النصح للطالب عند اختيار تخصصه أو مواد دراسته والتعرف على اسباب فشله أو عدم تقدمه فى الدراسة ، ثم لرشاده الى تجنب ذلك مستقبلا ، بالاضافة الى المشورة فى المدن الجامعية بواسطة الاخصائى النفسى والاجتماعى والاكاديمى ، والمهنى أو أحد اعضاء هيئة التدريس ، وذلك من خلال المشرفين فيها ، أو الريادة الطلابية (٢٧) .

٥- الخدمات المكتبية

تعد الخدمة المكتبية من أهم الخدمات التى يمكن أن تقدمها المؤسسات التعليمية للطلاب ، فالمكتبة عصب التعليم المتطور ، وضرورة أساسية من ضرورياته (٢٨) ، فهى تيسر للطلاب فرص الاطلاع على مجموعة واسعة متنوعة من الكتب ، وتعين الطلاب على تحصيل دروسهم ، وتزيد من رصيدهم الثقافى

والعلمى ، وقد أجمع الرأى على أن المكتبات هى القاعدة الصلبة التى يمكن أن تقوم عليها مختلف الجهود الثقافية فى أى مجتمع من المجتمعات (٢٩) ، وتزداد أهمية المكتبات مع ارتفاع اسعار الكتب وصعوبة اقتناء الكثيرين لها .

وانطلاقاً من أهمية المكتبات تحرص كل مؤسسة تعليمية على وجود مكتبة بها ، تضم العديد من المؤلفات والدوريات المحلية والعالمية ، والتى لاغنى للطالب عن الرجوع اليها ، هذا بالاضافة الى المكتبات المتخصصة الملحقة ببعض الأقسام والتخصصات .

وتوفر المكتبات مجموعة من الخدمات للمترددين عليها ، حيث تضم عددا من القاعات للاطلاع الداخلى كما أنها تقوم بتسهيل خدمات الاعارة الخارجية تحت شروط معينة ، كما يتوافر بكل مكتبة مجموعة من الاخصائيين يسهمون بدور كبير فى توجيه روادها نحو الاستفادة من كل مايوجد بها من كتب ومراجع (٣٠) .

ثانيا : احوال المجتمع المصرى زمن الأيوبيين والمماليك ، وعلاقتها بالخدمات الطلابية :

إن التعرف على الخدمات الطلابية فى زمن الايوبين والمماليك لايمكن أن يتم بصورة صحيحة دون التعرف على الأحوال السياسية والاقتصادية والدينية التى سادت المجتمع المصرى وتركت بصماتها على مختلف جوانب الحياة فى ذلك العصر من خلال التعرف على النواحى التالية : -

أ - الاحوال السياسية

جاءت الدولة الأيوبية وليدة احداث الحروب الصليبية ، وعاصرت أشد الحروب ضراوة وعنفاً فقد وضع عماد الدين زنكى أساس حركة الجهاد ضد الصليبيين - الذين اتخذوا من الدين ستاراً لاخفاء ماتنطوى عليه المطامع والاغراض السياسية والتجارية والاستعمارية لهم - ودعا الى توحيد جهود المسلمين والى نبذ مابينهم من منازعات ، ثم حشد الجهود لقتال الصليبيين ، وسار على نهجة ابنه نور الدين ثم صلاح الدين الأيوبى . (٣١)

وقد تحققت الوحدة الاسلامية زمن صلاح الدين الايوبى بفضل ماأفاده من جهود سابقيه ، وبما أسهم به هو واسرته فى بناء هذه الوحدة بفضل ادراكه ما للخلافة من قوة روحية فى تحقيق غرضه ، يضاف الى ذلك ما التمسه من الوسائل فى كسب الانصار ، بما بذله من الاقطاعات ، وبما اتصف به من العفو عن اخطاء خصومه ، وبما جرى عليه من التزام احكام الدين فى سياسته ، فضلاً عما اشتهر به من السخاء والمروءة (٣٢) .

كما ظهرت دولة المماليك فى احداث وأخطار جسيمة احاطت بالعالم الاسلامى من كل جانب تمثلت فى استيلاء المغول على العراق وسقوط الخلافة العباسية فى بغداد من ناحية ، وتدهور أحوال المسلمين فى الاندلس من ناحية أخرى ، والهجمات الصليبية الشرسة من ناحية ثالثة ، كل هذه الظروف والأحداث ألقت بثقلها على الدولة الأيوبية والمملوكة فى مصر ، وأصبحت أنظار المسلمين فى كل مكان مشدودة اليها (٣٣)

وجعلت الاهتمام بالجيش والاسطول والعناية الفائقة بهما أول ما استأثر بجهود الحكام فى ذلك العصر ، فدور جيوش مصر واساطيلها فى ذلك العصر ، لم يتوقف عند حد الدفاع عن البلاد وحماية حدودها ، وانما تخطى ذلك الى القضاء على الخطر فى منابعه ، فخرجت الحملات من مصر الى أسيا الصغرى واقليم الجزيرة شمالاً ، والى دولة النوبة المسيحية جنوباً والى شبه الجزيرة العربية شرقا فى حين غزت الاساطيل المصرية قبرص ورودس ، وقامت بدورها فى تأمين البحرين الأبيض والأحمر (٣٤) .

والواقع أن هذه الأوضاع كانت سبباً رئيسيا فى تجمع صفوة العلماء فى مصر ، ذلك أن الاتصال بمصر لم يكن ضروريا فى شئون الحرب والسياسة فقط ، بل كان ضرورة فى عالم التجارة والاقتصاد ، وأمر لاغنى عنه فى النواحى العلمية والتعليمية ، (٣٥) وهذا الأمر انعكس بدوره ، على ماقدم لطلاب العلم من خدمات وتسهيلات تتعلق بالاقامة والتغذية وحسن الرعاية والتوجيه انطلاقا من أن التعليم والعلم كان أحد الأسلحة التى استخدمها سلاطين الأيوبيين والمماليك للتغلب على ماواجههم من أخطار .

ب- الأحوال الاقتصادية

تمتعت مصر فى هذا العصر بمركز اقتصادى مرموق ، نتيجة لازدهار التجارة الداخلية والخارجية بها ، والانتعاش الذى شمل جميع مرافق الحياة من زراعة وصناعة وتجارة ، ذلك أن عصر الأيوبيين والمماليك لم يكن عصر نشاط حربى فقط ، بل كان أيضا نشاطاً حضارياً واسع النطاق ، حيث غدت مصر فيه قبلة التجارة العالمية والمعبر الرئيسى لتجارة الشرق فى طريقها الى الغرب ، كما اسهمت الحروب الصليبية بشكل واضح تنشيط التبادل التجارى بين الغرب المسيحى والشرق الاسلامى ، فنشطت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين جمهوريات ايطاليا التجارية من ناحية ومصر من ناحية أخرى ، مما عاد على مصر بثروة ضخمة ساعدت على ازدهار الصناعات وانتعاش العلوم والفنون ، واقامة المنشآت الدينية مما لايزال بعضها باقياً يشهد على عظمة مصر فى من أزهى عصورها (٣٦) .

ولقد كان من نتيجة ذلك الانتعاش الاقتصادى أن رصد الامراء والاعيان زمن الأيوبيين والمماليك الأموال الوفيرة لانشاء الأربطة والكتاتيب والمدارس والمساجد ، واوقفوا عليها الأموال والدور والاراضى ، وقدموا العديد من الخدمات والاعانات لطلاب العلم والمعلمين ، ونتج عن ذلك نهضة علمية وتعليمية ، كانت من مفاخر ذلك العصر . (٣٧)

جـ - الأحوال الدينية

شهدت مصر فى زمن الأيوبيين والمماليك نشاطاً دينياً ملحوظاً خدمة لمذهب أهل السنة ، ومحاربة لعقائد الدولة الفاطمية الشيعية فى مصر ، من خلال اتخاذ معاهد التعليم مراكز لنشر المذاهب الدينية ، فبقدر ما استخدمها الفاطميون للدعاية للمذهب الشيعى ، قام الأيوبيون والمماليك باستخدامها لمحاربة هذا المذهب والدعوة للمذهب السنى ، بجعلها مراكز لتدريس الحديث وفقه أهل السنة والجماعة (٣٨) وقد .

تطلب ذلك اقامة العديد من المساجد والزوايا والجوامع والمدارس ساهم فى إقامتها السلاطين والأمراء والأثرياء من أبناء الشعب ، ووفروا للمترددين عليها من الطلاب العديد من الخدمات .

على أن الظاهرة الواضحة التى اتصفت بها الحياة الدينية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك هى ظاهرة انتشار التصوف والتى بدأت تزداد وضوحا فى العصر الأيوبى ، ولم تلبث هذه الظاهرة أن أخذت تنتشر فى مصر حتى تركت أثراً واضحاً فى الحياة الاجتماعية فضلاً عن الحياة الدينية والتعليمية فى عصر المماليك ، وقد اهتم سلاطين الأيوبيين والمماليك وأمراؤهم بانشاء منازل وبيوت للصوفية اطلق عليها الخانقاوات والربط والزوايا (٣٩) .

ولعل مايجب الاشارة اليه أن الدين لم يكن بمعزل عن الحياة السياسية والاقتصادية فى المجتمع المصرى زمن الأيوبيين والمماليك ، فقد كان القادة الحقيقيون هم علماء الاسلام متمثلين فى رجال العلم والقضاء على اختلاف مذاهبهم ، فقد كان هؤلاء العلماء هم الذين يشورون لتصحيح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويتصلون بالحكام ، ويصطدمون معهم ، وكان الشعب المصرى أكثر طاعة لعلمائه وقضاته من غيرهم من الملوك والسلاطين ، فقد كان العلماء هم الزعماء والمصلحين ، الذين يدافعون عن حقوق الشعب ويبصرونه بهذه الحقوق ، وكانت السلطات الحاكمة تستجيب للعلماء ، والفقهاء لأسباب كثيرة منها أن سلاطين الأيوبيين والمماليك كانوا يعتمدون على الفقهاء ، ورجال العلم فى الدعوة الى الجهاد ضد الاعداء ، وحث الناس على البذل والعطاء قبل المعركة ، كما كان هؤلاء يشتركون بأنفسهم فى الحروب للتحريض على القتال ، وتبصير الجنود بمعنى الجهاد ، وبث الروح المعنوية بينهم . (٤٠) هذه المكانة للعلم والعلماء جعلت الحكام والامراء يغدقون على العلماء والطلاب لتمكينهم من آداء دورهم فى تعليم العلم وتعلمه .

د - الأحوال العلمية والفكرية

كانت مصر فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك محورالنشاط علمى وفكرى كبير جاء مصاحبا للنشاط الدينى والاقتصادى المزدهر خلال ذلك العصر ، ولعل ذلك هو ما أكده ابن خلدون ت (٨٠٨هـ) ، بقوله "نحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر ، كما أن عمرانها مستبحر ، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ، ومن جملتها تعلم العلم " (٤١) ، كما أشار السيوطى ت (٩١١ هـ) الى أن مصر فى ذلك العصر أصبحت " منبـــع العلم ، ومحل سكن العلماء ، ومحط رجال الفضلاء " (٤٢) .

والواقع أن مظاهر النشاط العلمى فى ذلك العصر ، لاتتمثل فقط فى تلك العمائر التى شيدوها فى مصر من مساجد ومدارس وخانقاوات ، ووكالات واسبلة ، مازالت نماذج منها باقية حتى اليوم ، ولكن تتمثل أيضا فى ذلك التراث الرائع الضخم * الذى خلفه العلماء والفقهاء والادباء فى مؤلفاتهم التى مازالت تعتبر فى طليعة مراجع البحوث والدراسات فى شتى ألوان الثقافة الاسلامية ، هذا بالاضافة الى الاسهامات التى قدمها علماء ، هذا العصر فى مجال علوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات والحيوان والنبات

والجيولوجيا (٤٣) .وقد توافر للحركة العلمية فى ذلك العصر عدة عوامل داخلية وخارجية ساعدت مجتمعة على ازدهارها لعل من أهمها ما جبل عليه كثير من سلاطين الأيوبيين والمماليك وامرائهم من اقامة العديد من المنشآت الدينية والتعليمية ، وحبس الأوقاف عليها - مما كان سببا فى الإكثار من طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها (٤٤) . ولعل فى ذلك مايفسر قول ابن بطوطة ت (٧٧٩هـ) "وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها " (٤٥) وما ذهب القلقشندى ت (٨٢١ هـ) من أنه قد بنى فى مصر من المدارس ما ملأ الاخطاط وشحنها (٤٦) - هذا بالاضافة الى اجلال السلاطين والامراء للعلم والعلماء ، ومشاركتهم فى تحصيله حيث كانت مجالس السلاطين والامراء - فى الغالب - حافلة بالعلم والعلماء باعثة على المشاركة والمناقشة فى الأمور الدينية والثقافية (٤٧) . ولعل الدارس لتاريخ الملوك الذين تعاقبوا على مصر من ملوك بنى أيوب يوشك ألا يصادف فيهم ملكا قليل العناية بالعلم ، أو فاترا فى تشجيع اهله تقريبهم اليه ، بل أوشك أن يكون كل واحد من هؤلاء شاعرا أو فقيها أو محدثا أو ذا تصانيف ونحو ذلك ، فصلاح الدين الأيوبى (١١٦٩/١١٩٣م) - مثلاً - اهتم بالطلبة اهتماماً كبيرا حيث كان يوفر لهم كل مايحتاجون من مساكن يأوون اليها ويوفر لهم الخبز الذى يوزع عليهم كل يوم ، ورتب لهم المدرسين فى مختلف العلوم ، وهيأ لهم الرعاية الصحية ، وفى هذا يقول ابن جبير ت (٦١٤ هـ) " اتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجو الى ذلك ، ونصب ماريستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل لهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت ايديهم خدام يأمرهم بالنظر فى مصالحهم ، (٤٨) كما ذكر أيضا ابن جبير (خلال رحلة زار فيها مصر فى عهد صلاح الدين) أن " من يطلب العلم يجد الأمور المعينات ، وأولها فراغ البال ، والسكن الذى يأويه ، والمعلم الذى يعلمه الفن الذى يريده ، والأجير الذى يقوم بأحواله" (٤٩) ، كما وصف المقريزى ت (٨٤٥ هـ) بعض سلاطين الأيوبيين (السلطان الكامل ١٢١٨ - ١٢٣٨م) بأنه " كان يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم ، وعنده شغف بسماع الحديث النبوى ... وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو ، يمتحن بها فمن أجاب عنها قدمه ، وحظى عنده ، وكان يبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم فينصب لهم أسرة ليناموا عليها بجانب سريره ليسامره " (٥٠) .وعلى نفس الدرب سار سلاطين المماليك ، فكما كانوا تلاميذ بنى أيوب فى الدين والحرب والسياسة ، كانوا كذلك تلاميذهم فى تشجيع العلم والعلماء ورعايتهم - وان كان البعض يرى أنهم لم يكن لهم باع واسع فى المشاركة الفعلية فى الحركة العلمية كما فعل بنو أيوب (١٥) - والشواهد الدالة على ذلك كثيرة منها قول المقريزى مترجما المؤيد شيخ (١٤١٢- ١٤٢١م) "كان يحب أهل العلم ويجالسهم ، ويجل الشرع النبوى ، ويذعن له" . (٥٢)

وقول ابن تغرى ت (٨٧٤ هـ) مترجما الظاهر جقمق (١٤٣٨/١٤٥٣م) " كان معظما للشريعة ، محبا للفقهاء ، وطلبة العلم ... وكان يقوم لمن دخل عليه من الفقهاء والصلحاء كائنا من كان (٥٣) وقول ابن اياس ت (٩٣٠هـ) مترجما الاشرف قيتباى (١٤٦٨/١٤٩٦م) " كان يعظم العلماء ، عارفا بمقام الناس ، ينزل كل واحد منزلته " (٥٤) والواقع أن هذا الاهتمام بالعلم والعلماء وطلاب العلم قد أسهم بصورة واضحة فى توفير العديد من الخدمات لطلاب العلم شملت نواحى الاقامة والتغذية وحسن التدريس والتوجيه ...

وغيرها .

ثالثا : ملامح النظام التعليمى فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، وارتباطها بالخدمات الطلابية

اتضح مما سبق أن الأيوبيين اقاموا دولتهم على أنقاض الدولة الفاطمية ، التى استطاعت بوسائلها المختلفة أن تبسط سلطانها السياسى والروحى على مصر مايزيد على قرنين من الزمان من (٣٥٨ هـ/٩٦٨م) الى (٥٦٥ هـ/١١٦٩م) ، وكان التعليم من الوسائل التى لجأ اليها الفاطميون فى توطيد سلطانهم (٥٥) ، كما اتضح أنه بقدر اهتمام الفاطميين بالتعليم واتخاذهم معاهد التعليم مراكز لنشر المذاهب الدينية وللدعاية للمذهب الشيعى ، كان اهتمام الأيوبيين والمماليك بالتعليم واتخاذ معاهدة مراكز لمحاربة هذا المذهب والدعاية للمذهب السنى (٥٦) .

فمع انتقال مصر من حكم الفاطميين الى حكم الايوبيين ظهر عهد جديد يختلف فى نظمه وسياسته عن العهد الذى سبقه ، وتميز بسياسة سنية ، أدت هذه السياسة الى قيام الكثير من المؤسسات التعليمية والتى أخذت فى التطور والنمو طوال العصر الأيوبى ، وجاء العصر المملوكى ليجد نظاما تعليميا مكتمل النضج خلفه له عصر الأيوبيين ، فالشكل الذى عرفه نظام التعليم فى العصر المملوكى ماهو إلا امتداد لذلك النظام فى العصر الأيوبى الذى اورثه اياه (٥٧) ، ولعل ملامح هذا النظام يمكن أن تتضح من خلال استعراض المؤسسات التربوية ودور العلم والتى تنافس السلاطين والأمراء ، والأعيان فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك على بنائها ، وما وفرته هذه المؤسسات من خدمات للمترددين عليها ومن هذه المؤسسات مايلى :-

١-المكاتب أو الكتاتيب :

أنتشر بناء هذه المكاتب على نطاق واسع فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، وكانت تقوم مقام مدارس المرحلة الأولى فى وقتنا الحالى ، وكانت مهمتها الأساسية تحفيظ القرآن الكريم بالاضافة الى تعليم القراءة والكتابة ، وعرفت مصر فى تلك الفترة نوعين من :

المكاتب :

أ - المكاتب الأهلية أو الخاصة ، وهى التى يقيمها من وجدوا فى أنفسهم القدرة على اتخاذ التعليم حرفة يتقرتون منها ، ويتعلم فيها الصبيان بأجر معلوم لاصحابها .

ب- المكاتب العامة أو مكاتب الأيتام * أو مكاتب الاسبلة **: وهى التى كان قيامها مرهونا بأصحاب المناصب والجاه فى الدولة من سلاطين وامراء ووجهاء وتجار وعلماء ، ابتغاء مرضاة الله وثوابه ، وقدحظى هذا النوع من المكاتب بعناية فائقة طوال العصرين الأيوبى والمملوكى ، وكان التعليم فيها مكفولا بدون أجر للأيتام ، والمعدمين (الفقراء) ، وأبناء البطالين (المتقاعدين) من الجند ، مالم يبلغوا

حد البلوغ ، وقد كفل لهم نظامها معاليم عينية ونقدية ، تصلح لما يحتاجونه أثناء دراستهم فى المكتب من ألواح ومحابر وأقلام ومداد ، وفضلا عن الكساء والفرش ، ومايبذل لهم فى المواسم والأعياد والكعك والسكر والحلوى والفاكهة والأضحيات (٥٨) .

وعلى الرغم من أن المعلوم الذى يتناوله الطفل كانت تختلف قيمته تختلف من مكتب لآخر طبقا لشروط الوقت ، إلا أن هذا المعلوم كان - فى الغالب - خير عون للطفل ووعا لأسرته التى غالبا ماتكون فقدت عائلها على مواصلة الحياة لحين بلوغ الطفل وقدرته على الاكتساب (٥٩) .

٢- المدارس

شهدت مصر فى بداية العصر الأيوبى اهتماما عظيما بانشاء المدارس لتكون مراكز للتعليم ينتشر من خلالها المذهب السنى ، كما حظيت المدارس فى عهد المماليك بنفس القدر من الاهتمام ، ولقد كان وراء اهتمام الأيوبيين والمماليك بانشاء العديد من المدارس والعناية بها اسباب ودوافع عديدة منها :

أ - أن المدارس فى هذا العصر اتخذت سندا ودعاية لتقوية نفوذهم السياسى ، وركيزة لتقوية وضعهم الداخلى فى مصر بانتصارهم للمذهب السنى (٦٠) .

ب- حب الأمراء والسلاطين والأعيان للعلم والعلماء وتشجيعهم له ، حتى أصبح من المعتاد طوال عصر الأيوبيين والمماليك أن يكون من آثار السلطان مدرسة أو أكثر ، كما لوكانت هذه المدارس من مظاهر السلطة وشعارها ، (٦١) فصلاح الدين الأيوبى بنى سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م مدرستين هما الناصرية للشافعية ، والقمحية للمالكية وهو لايزال وزيرا للعاضد ، وفى اثناء سلطنته بنى بيت السيوفيه للحنفية ... وغيرها ، وقلده فى ذلك خلفاؤه فى دولته السلاطين فضلا عن الأمراء والتجار وغيرهم (٦٢) ، مما أدى الى زيادة عدد المدارس حتى بلغ عددها بالقاهرة حوالى سنة ٦٠٠ هـ ثلاث عشرة مدرسة (٦٣) ، وعلى نفس الدرب سار سلاطين وامراء وأعيان المماليك ، من ذلك بناء الظاهر بيبرس (١٢٦٠ - ١٢٧٩م) للمدرسة الظاهرية والمنصور قلاوون (١٣٧٦-١٣٨٠م) لمدرستى تربة أم الصالح والمنصورية المؤيد شيخ (١٤١٢ - ١٤٢١م) للمؤيدية ... وغيرها من المدارس الكثير. (٦٤)

جـ- كان هناك سبب ثالث وراء الاكثار من بناء المدارس وترتيب الاوقاف للصرف من ريعها على المدرسين والطلبة ، تعلق هذا السبب بالحياة السياسية الداخلية وما اتسمت به من عدم استقرار - خاصة فى عصر المماليك - اذ ان الامراء بل والسلاطين أنفسهم كانوا يتعرضون لحوادث المصادرة والسجن ، مما جعلهم يرون فى الاوقاف وسيلة وملجأ يلجأون اليه عند الضرورة ، وضماناً لذريتهم من بعدهم ، وهو ماأكد عليه ابن خلدون بقوله " ان امراء الترك فى دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء ، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم بنظر عليها أونصيب منها . (٦٥) .

وكانت المدرسة فى ذلك الوقت مؤسسة كاملة تشمل على المكان المعد لإلقاء الدروس والمسكن الذى يبيت فيه الطلاب والمدرسين ، والرواتب التى تغنيهم عن طلب الدنيا ، وتضمن انقطاعهم لطلب العلم ، مع توفير المدرسين الاكفاء المتفرغين لتعليم الطلبة ، وخزانة الكتب التى يرجع اليها المدرسون والطلاب ولاسيما الفقراء منهم ، ولذلك رتب لكل مدرسة بعض الأراضى والعقارات للصرف من ريعها على مصاريف المدرسة ودفع رواتب المدرسين والطلبة وغيرهم من العاملين بالمدرسة . (٦٦) .

٣- المساجد

عرفت مصر هذا النوع من المؤسسات التعليمية منذ انشاء " عمرو بن العاص" لجامعه فيها (٦٧) ، وعلى الرغم من أن التدريس بالمساجد قد تأثر بعض الشىء وواجه فترة من الركود النسبى نظرا لاهتمام الايوبيين بإنشاء العديد من المدارس التى انتقلت اليها قيادة الحياة التعليمية فى تلك الفترة نظرا لما كان يصرف فيها من المرتبات النقدية والعينية بالاضافة الى السكن المجانى فى كثير من المدارس (٦٨) ، فإنه مالبث أن تغير الحال طوال العصر المملوكى ، وأخذت حركة بنيان المساجد وعمارتها تضطرد ، بحيث كان منها وفى القاهرة وحدها " مالايكاد يحصى ، فضلا عن سائر مدنها وقراها (٦٩) .

واذا كانت المساجد قد أقيمت أساسا للعبادة ، فإنها كانت تؤدى وظيفة تعليمية الى جانب ماكان يؤدى فيها من شعائر العبادة – مع وجود المدرسة – بل لعلها تفوقت آنذاك على المدرسة بما اختصت به من ميزات من بينها كثرة المنتفعين بالعلم فيها ، والحرية المطلقة بالنسبة للمدرسين والطلبة فى اختيار مناهج الدراسة وأسلوبها وأوقاتها (٧٠) ، وقد أجمل ابن الحاج (ت٨٣٧هـ) هذه الميزات فى مدخلة قائلا : "... وأفضل مواضع التدريس المسجد ، لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة ، أو تخمد به بدعة ، أو يتعلم به حكم من احكام الله – تعالى – علينا ، يحصل فيه هذا الغرض متوافرا ، لأنه موضع مجتمع الناس ، رفيعهم ووضيعهم ، عالمهم وجاهلهم ، اذ المدرسة لايدخلها فى الغالب الا احاد الناس بالنسبة للمسجد لانه ليس كل الناس يقصد المدرسة ، وانما يقصد أعمهم المساجد " (٧١)

ولقد حظيت كثير من المساجد فى مصر زمن الأيوبيين بنشاط فكرى وعلمى ملحوظ ، واتخذت صورة الجامعات الإسلامية . من هذه المساجد والجوامع ، الجامع الأزهر ، جامع عمرو ، جامع ابن طولون وجامع الحاكم ... وغير ذلك كثير . ولقد كانت سبل الاعاشة بالنسبة للمجاورين والمترددين على هذه المساجد تختلف عنها فى المدارس ، إذ أن الطلبة فى المدارس يتلقون المعاليم الشهرية التى تعينهم على معيشتهم والاستمرار فى طلب العلم ، أما حالة الطلبة المجاورين فإنهم يقومون بنفقة أنفسهم ، إلا ما يقوم به أرباب الأموال والاحسان من الصدقة بأنواع البر من الأموال والاطعمة والحلوى لا سيما اعانة للمجاورين (٧٢) .

٤ - البيمارستانات :

البيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين " بيمار" بمعنى مريض أو عليل أو مصاب ، و "ستان" بمعنى

مكان أو دار ، فهى إذن دار المرضى ، أو المصحة . (٧٣) والبيمارستانات كانت الى جانب كونها مصحات لعلاج المرضى ، مراكز لتعليم الطب وممارسته ، ولعل ذلك توضحه وثيقة وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصورى فى العصر المملوكى ، الذى يعد من أعظم المستشفيات والكليات فى تاريخ مصر الإسلامية (٧٤) .

وقد أسهمت هذه المؤسسات فى تقديم خدمات الرعاية الصحية للمترددين عليها كما قدمت خدمات صحية أخرى للطلاب وأفراد الشعب فى منشئاتهم الدينية والتعليمية . (٧٥)

٥- المكتبات :

كان من ثمار النهضة الثقافية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك الاهتمام بالمكتبات والعناية بالكتب وجمعها ، حيث حظى الكثيرون من العلماء والامراء - على حد سواء - بمكتبات عامرة ، محتوية على فروع من المعرفة متعددة ، كما كانت هناك بعض المكتبات الملحقة بالمكاتب والمدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا ، وقد حبست عليها ، وتولى أمورها الخزان والنظار (٧٦) ، وكذلك وجدت مكتبات أو خزانات خاصة كثيرة فى ذلك العصر منها مكتبة كبيرة فى قلعة الجبل (٧٧) بمصر وقد كانت المكتبات بمثابة مدارس للتعليم ومؤسسات ينفق عليها السلاطين والأمراء والأثرياء والعلماء لينتشر العلم بين الناس ، خصوصاً فى ذلك الزمن الذى لم تكن فيه الطباعة موجودة وكانت الكتب تنسخ على ايدى نساخ متخصصين فى هذا العمل مما جعل ثمن الكتاب مرتفع جدا ، فيعتذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه (٧٨)

ولقد لعبت المكتبات دوراً هاماً فى ارساء قواعد النهضة الثقافية الكبرى فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، وقدمت خدمات متميزة للطلاب والمعلمين ، عملت على حفظ التراث والحضارة الإسلامية ، وأسهمت فى تخريج عدد كبير من مشاهير الفلاسفة والفقهاء والادباء والمؤرخين والعلماء وغيرهم .

٦ - المؤسسات الصوفية :

اتضح مما سبق - عند الحديث عن الأحوال الدينية - أن التصوف قد انتشر فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك واتسع نطاقه ، وشايع كثير من السلاطين والأمراء بمصر حركة التصوف واستتبع انتشار التصوف وكثرة الصوفية أن عدد البيوت التى خصصت للصوفية وأطلق عليها خوانق وربط وزوايا ، والتى وان اختلفت فى اسمائها الا أنها جميعا قامت لغرض واحد (٧٩) ، فالخوانق جمع خانقاه وهى كلمة فارسية معناها البيت أو الدار التى يختلى فيها الصوفية لعبادة الله تعالى ، وغالباً كان يقوم بإنشائها أحد السلاطين أو الأمراء أو غيرهم من ذوى اليسار والتقوى ؛ ترتيب بعض الأوقاف للصرف من ريعها على من ينزل فيها من الصوفية . (٨٠)

والزواية كلمة مأخوذة من الفعل انزوى ويعنى اتخذ ركنا من اركان المسجد للاعتكاف والتعبد وانشئت الزوايا أول الأمر ملحقة بالمساجد ، ثم تطورت الى أبنية صغيرة للصلاة والعبادة يتخذها أحد المشايخ

المشهورين بالتقوى والصلاح سكنا له ، ولمن يرد عليه من العابرين ، ويقوم بالوعظ والارشاد فيها لمن يتردد عليه من الناس ، وكذلك تطلق الزواية على الرباط الذى تنشئه إحدى الفرق الصوفية ، (٨١) أما الربط فهى جمع رباط وهو البناء المحصن الذى يقام قرب الحدود ، الا أن الرباط يطلق أيضا على الدار التى يسكنها أهل طريق الله ، والربط بهذا الوصف لايتعدى أن يكون هو الآخر زاوية أو خانقاه . (٨٢)

ولقد أدت هذه المؤسسات وظائف تعليمية واصلاحية بجانب قيامها بوظيفتها الأساسية : وظيفة التصوف " فبجانب كونها أماكن للانقطاع للعبادة ، كانت مراكز علمية تحتوى على مكتبات تضم كتبا تراثية متنوعة ، وتلقى فيها دروس الفقة والحديث والتفسير والقراءات ، ويتدارس فى خلواتها كثيرا من العلوم كالتصوف ، والطب ، والنحو ، والصرف وغيره ، كل بحسب جهده وطاقته والمامه باطراف هذه العلوم . (٨٣)

كما وجدت بجانب المؤسسات السابقة مؤسسات أخرى عديدة مثل بيوت العلماء وحوانيت الوراقين ، وقصور السلاطين والأمراء ومجالسهم ... وغيرها ، وقد وفرت كل هذه المؤسسات خدمات عديدة للطلاب شملت جوانب كثيرة ، وهو ماسوف نوضحه فى السطور التالية .

رابعاً : الخدمات التى قدمت لطلاب العلم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك :

أدى اهتمام امراء وسلاطين ذلك العصر بالعلم وطلابه الى توفير العديد من الخدمات لهم ، والتى يسرت لهم سبل العلم وطريق المعرفة منذ المرحلة الأولى ، وحتى نهاية التعليم ، ذلك أن اهتمام المجتمع المصرى فى ذلك العصر بالتعليم - انطلاقاً من النظرة الشاملة للتعليم - لم يقتصر على تنظيم شئونه من حيث اللوائح ومواد الدراسة ، والعلاقة بين المعلمين والطلاب ، والعلاقة بين الطلاب وبعضهم ، بل امتداد اهتمامهم ليشمل النواحى الصحية والاجتماعية للطلاب . فضلاً عن الاهتمام بالناحية النفسية لهم ، واسداء النصائح التى تكفل لهم حسن الرعاية والتربية (٨٤) .

١ - خدمات الإقامة المجانية :

امتدت رعاية المجتمع فى ذلك العصر لطلاب العلم لتشمل بالاضافة الى توفير مؤسسات التعليم المجانية ، توفير المساكن لاقامة طلاب العلم بها خاصة الفقراء والغرباء والنازحين من مختلف ارجاء العلم الاسلامى الذين يعز عليهم الحصول على المأوى اللازم والقوت الضرورى ، وفى ذلك يشير مصطفى شيحه الى أن مساكن الطلبة كانت من أهم الوحدات المعمارية التى يجب توافرها فى المنشأة التعليمية بقصد اقامة الطلبة فيها ، ولضمان عدم انقطاعهم عن العملية التعليمية بها ، وكانت هذه المساكن فى احيان كثيرة تقع فى طوابق متعددة . (٨٥)

ويلخص أحمد فكرى عناصر المدرسة فى فترة العصر الأيوبى أربعة عناصر رئيسية هى الاواوين والبهو أو الفناء المكشوف أما العنصر الثالث فتمثل فى بيوت الطلبة بالمدارس وهى عبارة عن غرف صغيرة الحجم

بعضها من طابق واحد ومعظمها من طابقين ، ويختلف عددها وشكلها من مدرسة لأخرى تبعاً لحجم المدرسة ، اضافة الى الوحدات الثانوية الأخرى المطلوبة فى المدرسة كخزانات الكتب وقاعات الدروس وتناول الطعام وغير ذلك من المنافع الضرورية للمقيمين بالمدرسة . (٨٦)

كما حرص مؤسسو المدارس فى العصر المملوكى على توفير المساكن اللازمة لاقامة الطلاب والمدرسين بهذه المدارس ، حتى أن بدر الدين بن جماعة ت (٧٣٣هـ) قد أشار فى حديثه عن المدارس التى عاصرها " أن هذه المدارس قد وفرت للطلاب الذين كانوا ينزلون بها للدراسة ، الاقامة فى بيوتها " (٨٧)

وقد اختلفت مساكن الطلاب فى جودتها من مدرسة إلى أخرى ، فذكر المقريزى فى خططه أن بعض المدارس كانت مساكنها من الجودة بحيث يتشاحن الطلاب على السكنى فيها ، ففى حديث عن المدرسة الصاحبية البهائية قال " كانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر ، يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بها ، ويتشاحنون فى سكنى بيوتها . حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة " (٨٨) ، أما المدرسة الظاهرية - التى انشأها (السلطان بيبرس) فقد كان للناس فى سكناها رغبة عظيمة ، ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه الى الحكام " (٨٩)

ولمزيد من استفادة الطلاب من خدمات الاقامة وضع منشئو المدارس قواعد عديدة تنظم السكن فى تلك المساكن الداخلية ، بحيث تراعى حالة المساكن الصحية واختيار المسكن الملائم له ، كما روعى المستوى الاخلاقى للطلبة عند اختيار اماكن سكناهم بالمدرسة بما يضمن العلاقة الطيبة بين جميع الساكنين .. وغيرها الكثير .

ولقد كان الدافع الأساسى وراء وضع هذه القواعد الرغبة فى توفير أكبر قدر من الهدوء والسكينة للقاطنين بالمدرسة حتى يتفرغوا للدراسة والبحث واقامة شعائر دينهم ، هذا بالإضافة الى المحافظة على سمعة المدرسة ونظامها من خلال القواعد التى ارتبطت بسلوك ساكنى المدرسة خارج مبناها . (٩٠)

٢ - خدمات التغذية والإعانات المالية :

شملت الخدمات الطلابية فى ذلك العصر بالإضافة الى خدمات الإقامة والسكن توفير التغذية المجانية والمساعدة المالية للطلاب فى كل شهر من شهور السنة على امتدادها ، من خلال ماسمى فى ذلك الوقت " معلوم الطالب " (٩١) ، الذى كان ينص عليه - فى الغالب - فى وثيقة أو كتاب الوقف الخاص بالمؤسسات التعليمية ، ويبدو ان هذا المعلوم لم يكن موحدا بالنسبة للطلبة كلهم ، وانما كان يختلف حسبما يراه ناظر الوقف من التسوية والفضل ، وهو مأدى فى كثير من الاحيان الى اثارة التحاسد والتباغض بين الطلبة (٩٢) ، وفيما يلى بعض المعاليم التى كانت تصرفها بعض معاهد التعليم للطلبة ، والتى تشير بصورة واضحة إلى ماوفره المجتمع فى ذلك العصر من عناية ورعاية لطلاب العلم (٩٣) - المدرسة الصرغتمشية التى أسسها الأمير صرغتمش الناصرى فى مصر (٧٥٧هـ) كان يصرف للطالب فيها خمسة وخمسون درهماً نقرة كل شهر ، ورطلان ونصف زيت طيب كل شهر ، ورطلان من الصابون كل شهر ، وفى

شهر رمضان من كل سنة يصرف لكل طالب رطلان من السكر ، ويصرف فى كل سنة فى وقت أوان البطيخ والعنب لكل طالب ثلاثة دراهم نقرة ، وبالإضافة لكل ماسبق كان يصرف على الطلبة فى عيد الاضحى مايراه الناظر فى ذلك .

- فى جامع ابن طولون رتب الامر يلبغا العمرى (٧٦٧هـ) درساً للحنفية فى الجامع ، وقرر لكل طالب من الاصناف فى الشهر اربعين درهماً ، وأردباً من القمح .

- فى خانقاه شيخو التى أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمرى (٧٥٧هـ) كان معلوم الطالب فيها كل يوم الطعام واللحم والخبز ، وفى كل شهر الحلوى والزيت والصابون .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الايرادات غير الثابتة للأوقاف ، قد ترتب عليها تغير المعلوم وبالتالى المستوى المعيشى للطلاب والمعلمين ، حيث كان يتذبذب بين فترة وأخرى من علو إلى انخفاض وبالعكس . (٩٤)

٣ - الخدمات المكتبية :

شكلت الخدمات المكتبية جانباً هاماً من جوانب الخدمات الطلابية فى العصر الأيوبى والمملوكى ٣٧٠ لأن الكتب فى ذلك العصر لم تكن متيسرة ، ولم يكن باستطاعة الكثيرين اقتناؤها نظراً لارتفاع أثمانها وقلة الموجود منها ، لأن معظم الكتب كانت مخطوطات تعتمد فى كتابتها على النسخ اليدوى (٩٥) وكانت أثمان مواد الكتابة من ورق وجلد ورق وغير ذلك مرتفعة ، ولذلك فتوفير هذه الخدمات للطلبة جنب كثيراً منهم جشع تجار الكتب ومغالاتهم فى اسعار شرائها واستئجارها ، والتى وصلت الى حد أن أحد التجار كان اذا احتاج شخص ما ، كتابا معينا أحضره له ، وأوهمه انه استأجره من شخص آخر ، ولايمكنه منه الا اذا دفع ايجارة يومية للكتاب وقد تصل الى ثمنه أو أزيد منه . (٩٦)

الواقع أن عدم قدرة معظم الطلبة على دفع ثمن الكتاب أو ثمن اعارته ، جعل للمكتبة ، أوخزانة الكتب اهمية بالغة فى حياة الدارسين ، وعنصراً أساسياً فى النظام التعليمى ، فبدونها لايستطيع الطلبة الاطلاع على شيئ الا مايمليه عليهم اساتذهم ، ولكن وجودها أتاح لهم فرصة البحث والاطلاع ، ومعارضة مايدرسون على آراء الفقهاء والعلماء ، كما أتاح لهم وجودها حرية القراءة والبحث فى فروع العلوم المختلفة بصرف النظر عما اذا كانت تدرس لهم من عدمه ، كما اتاحت المكتبة لهم الاطلاع مسبقاً على الدروس التى سيقوم المدرسون بشرحها أو إملائها عليهم ، الأمر الذى يعين على سرعة الفهم والتجاوب مع الاساتذة . (٩٧)

وانطلاقاً من تلك الأهمية قل أن توجد مدرسة فى العصر الأيوبى والمملوكى دون أن يحوى تصميمها المعمارى خزانة للكتب (٩٨) ، كما لم يقتصر وجود خزانة الكتب على المدارس وحدها بل وجدت فى المساجد والجوامع والخوانق والزوايا ... وغيرها من المؤسسات التعليمية والدينية ، كما حرص الأمراء والسلاطين على انشاء مكتبات خاصة فى قصورهم وكذلك العلماء والفقهاء ، والادباء ، وكانو يتنافسون فى جمع

الكتب والمخطوطات النادرة والمصاحف بها . (٩٩)

كذلك حرص الواقفون – انطلاقاً من أهمية المكتبة – على المحافظة على خزانة الكتب وتزويدها بالكتب وتخصيص المبالغ المالية اللازمة لامدادها بالأوراق والاقلام لصيانة وترميم الكتب ، لأن نسخ الكتب كان يمثل جهداً شاقاً باهظ التكاليف ، بالاضافة الى خوفهم من ضياعها نتيجة للإهمال وسوء الاستعمال والسرقة . (١٠٠)

ولضمان حسن اداء الخدمة المكتبية توفر فى كل خزانة للكتب مجموعة من الموظفين القادرين على تنظيم الكتب ورعايتها والمحافظة عليها ، فضلا عن خدمة المترددين عليها من طلبة العلم ، كان من أهمهم الخازن ، والذى يشرف عليها ، ومسئول عن كتبها ، وتنظيم العمل بها وفقاً للشروط التى يعينها له الواقف .(١٠١)

ونظراً لما كان لهذه الوظيفة من أهمية فى حياة الطلاب والمشتغلين بالعلم ، فقد اشترط الواقفون فيمن يشتغل بهذه الوظيفة ان يكون متمتعاً ببعض الصفات والمهارات تتمثل فى الامانة والتدين ، وسعة الاطلاع ، والدراية بشئون الكتب ومعرفة محتوياتها ومصنفاتها ، واحياناً كان تعيين الخازن يتم بموافقة طلبة العلم المنتفعين بالمكتبة ، (١٠٢) كما كان يتولى هذه الوظيفة – فى أحيان كثيرة – أحد العلماء أو الأدباء ليكون عوناً للطلبة والباحثين ويمكنه ارشادهم للكتب والمراجع .(١٠٣)

٤ - الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية

لم يهمل مؤسسو المؤسسات التعليمية فى العصر الأيوبى والمملوكى الرعاية الطبية الشاملة للطلاب والمدرسين ومن معهم من أصحاب الوظائف فى المؤسسة سواء كانوا من المقيمين بها أو المقيمين خارجها ، ولم يقتصر اهتمامهم بهذا الجانب على ماتقدمه البيمارستانات بل حرصوا على تقديمها – الرعاية الصحية – لهم فى مؤسساتهم ، ولذلك اشترطوا على الأطباء الحضور يومياً الى المؤسسة لمعالجة من يمرض من أرباب الوظائف أو طلبة العلم سواء كانو مقيمين بالمؤسسة أو خارجها ، وفى كافة الأحوال لايكلف المريض بالحضور إلى الطبيب ، بل يشترط الوقف ضرورة توجه الطبيب الى المريض حيث سكنه ، ومن ذلك ماجاء فى وثيقة وقف السلطان حسن بن قلاوون (١٣٧هـ- ١٢٩١) أن على الناظر أن يرتب رجلين مسلمين أحدهما عارف بالطب ، خبير بمعالجة الأبدان والثانى عارف بصناعة الكحل ، على أن كلا منهما يحضر فى كل يوم الى المكان المذكور ، ويداوى ، ومن يحضر اليها من الطلبة وأرباب الوظائف ، ممن ليس له سكن بالمكان ، ومن مرض من المقيمين بالأماكن المذكورة اعلاه ، يوجه الطبيب اليه فى مكان اقامته ، ولايكلف المريض الحضور الى الطبيب .... ويرتب الناظر رجلا جرائحيا مجبرا ، يحضر فى كل يوم الى المكان المذكور، ويفعل نظير ماشرط على الكحال (طبيب العيون) والطبيب ما عليه (١٠٤) .

الواقع أن الخدمات الصحية فى ذلك العصر لم تقتصر على النواحى العلاجية فقط ، ولكنها امتدت بالاضافة فى ذلك الى الخدمات الوقائية والتى تمثلت فى عزل المرضى – خاصة فى حالة الأمراض المعدية – والاهتمام بالنظافة الشخصية والعامة ، والاعتدال فى الأكل والشرب .

حيث حرص الواقفون ومؤسسو المؤسسات التعليمية والدينية على عزل المريض من طلبة العلم أو من أرباب الوظائف خاصة اذا كان مرضهم من الأمراض المعدية ، ورأفة بهم شرطوا لهم أن يتناولوا مرتباتهم حتى شفائهم أو وفاتهم ، مثال ذلك ماجاء فى وثيقة وقف السلطان برسباى (١٤٢٢ - ١٤٣٧م) "وان لايترك فى الوظائف المذكورة أحد به عاهة من جذام أو برص ، فان حدث والعياذ بالله تعالى بأحد من أرباب الوظائف المذكورة شئ من ذلك ، وحدث له مرض يعجزه عن القيام بوظيفته أجرى عليه معلومه له الى حين عافيته أو وفاته (١٠٥) .

كما كانت توجيهات المربين فى ذلك العصر للمعلمين بضرورة الاهتمام بنظافة الكتاب والأدوات المستخدمة فيه منعا للتلوث المسبب للأمراض ، فاشترطوا أن يكون لمسح الألواح موضع طـاهر مصون نظيف وأن يمنع المعلم الصبيان مما أعتاده بعضهم من أنهم يمسحون الألواح أو بعضها ببصاقهم ، وذلك لايجوز لأن البصاق مستقذر ، (١٠٦) كما قدموا العديد من التوجيهات التى تتعلق بنظافة الثوب واليدين أثناء الكتابة ، ونظافة وصيانة الكتب وغيرها ، وكذلك نظافة الأمكنة التى يقضى بها التلاميذ حاجتهم ، ونظافة وطهارة الماء الذى يشربون منه خلال اليوم المدرسى (١٠٧) .

كذلك أشار المربون الى أن من مسئولية المعلم تجاة تلاميذه تقديم العون لهم فيما يتعلق بحل مشكلاتهم الصحية ، وارشادهم الى مايصلح لهم من الغذاء من حيث نوعه وكميته ، والى أهمية الرياضة البدنية لحفظ الصحة وتحقيق تعلم جيد (١٠٨) .

٦ - خدمات التوجيه والارشاد الطلابى

لم يهتم منشئو المؤسسات التعليمية فى عصر الأيوبيين والمماليك بتقديم خدمات الاقامة والتغذية والرعاية والصحية فقط ، ولكن امتدت الخدمات بالاضافة الى ماسبق ذكره الى خدمات التوجيه والارشاد الطلابى ، والتى تمثلت فى مساعدة المتعلم على اختيار مايناسبه من الخبرات والمعارف والعلوم التى يسعى الى تعلمها وارشاده الى مايصلح منها ، فاذا اختار المتعلم فنا من الفنون ليدرسة ، وأخطأ فى تقدير استعداداته كان المعلم يوجهه الى مايناسبه وما يستطيع فيه استخدام امكاناته استخداماً فعالا ، وتوجيهه الى أفضل طرق المذاكرة والتحصيل ، والمساعدة فى حل مشكلاته الاجتماعية ، بالاضافة الى تهيئة الجو التعليمي الخالى من الانفعالات الهائجة الضارة والمواقف المؤلمة (١٠٩)

مما تجدر الاشارة اليه أن عبء تقديم هذه الخدمات كان يقع على عاتق المعلم وهو ما دعا المربين فى ذلك العصر الى القول بضرورة مراعاة المعلم لمثل هذه الأمور ، فعلى المعلم - كما يرى ابن جماعة " أن علم أو غاب على ظنه أنه (المتعلم) لايفلح فى فن ، اشار عليه بتركه والانتقال الى غيره مما يرجى فيه صلاحه ، (١١٠) كما أن من صميم مسئولياته ارشاد طلابه الى خير طرق التعليم وتوجيههم الى كيفية اكتساب عادات صالحة للتحصيل كتخصيص وقت معين للإستذكار ، ومكان معين أيضا للإستذكار ، فعنده أن " أجود الأوقات للحفظ الاسحار ، وللبحث الابكار ، وللكتابة وسط النهار والمطالعة والمذاكرة الليل " (١١١) وعنده أيضاً أن

أجود اماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات " (١١٢) كذلك أشار ابن جماعة الى أن من مسئوليات المعلم وواجباته " أن يسعى فى مصالح الطلبة ، وجمع قلوبهم ، ومساعدتهم بما يتيسر عليه من مال وجاه عند قدرته على ذلك " (١١٣) هذا بالاضافة الى دعوة المعلم الى نبذ القسوة فى معاملة تلاميذه والرفق بهم ، ومعاملتهم بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه ، وافشاء السلام وكظم الغيظ وكف الأذى (١١٤) .

والوقع أن هذه التوجيهات لم تكن أموراً نظرية فقط ، ولكنها تعبر عن واقع فعلى ، حيث حوت الكتب التاريخية من الأدلة الواضحة على المعاملة التى كان يعامل بها المدرسون الطلبة ، فهاهو العالم نجم الدين الخيوشانى الذى عينه صلاح الدين على المدرسة الصلاحية كان يعامل الطلبة معاملة الأب لأبنائه ، ويحاول تقصى أخبارهم والسؤال عن مشاكلهم ومحاولة حلها حتى يتفرغوا لطلب العلم ، وقد خرج فى بعض الليالى يطوف على بيوت الطلبة ، فنظر من الباب فرأى صاحب الخلوة ، وقد وضع الكتاب من يده وأنشد الطالب بعض أبيات الشعر ، فلما أصبح النهار سأل الخيوشانى الطالب عما به وأخبره بما سمعه منه فى الليلة السابقة ، وفى ذلك دلالة على أن المعلم لم يكن يهتم فقط بالقاء الدروس ، وانما بأحوال الطلبة النفسية . (١١٥)

خامساً : الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى مجال الخدمات الطلابية فى الوقت الحالى :

اتضح مما سبق أن الخدمات الطلابية فى العصر الأيوبى والمملوكى كانت تشكل جزءاً أساسياً من النظام التعليمى فى ذلك العصر ، حيث حرص السلاطين الأمراء والأعيان فيه على توفير العديد من الخدمات لطلاب العلم حتى يتفرغوا لطلبه ، فاهتموا بتوفير مايحتاجونه من معلمين متفرغين ، مكتبات زاخرة بالكتب ، ومساكن يأوون اليها ، وأطعمة توزع عليهم ، وأطباء يتفقدون أحوالهم ، وخدم يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم . . وغير ذلك كثير ، الأمر الذى يتطلب ضرورة التفكير بجدية واعادة النظر فيما يقترحه ويدعو اليه البعض * - من منطلق ترشيد مجانية التعليم أو البحث عن بدائل جديدة لتمويل التعليم - من ضرورة التخلى عن بعض مايقدم للطلاب من خدمات من خلال العمل على تقليلها أو قصرها على فئات دون غيرها كالمدن الجامعية أو التغذية أو العلاج ، أو العمل على رفع أسعار تقديم هذه الخدمات ، زيادة الرسوم المدرسية المقررة على الطلبة فرض بعض الرسوم على دخول بعض المكتبات الجامعية ، وكذلك العمل على اعادة النظر فى نظام مكافآت التفوق ، ودعم الكتاب الجامعى . . . وغيرها من المقترحات التى يمكن أن تحرم بعض الطلاب من هذه الخدمات .

** خضعت معظم الخدمات الطلابية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك لمجموعة من القواعد والضوابط الإدارية والخلقية ، بما جعلها تسهم بصورة واضحة فى آداء الهدف الذى وضعت من أجله ، فقد وضع منشئو المدارس - فى ذلك العصر - مجموعة من القواعد تنظم السكن فى مساكنها سواء ماتعلق منها

بالاشخاص الساكنين ، أم ماتعلق بصيانه المسكن ذاته ، والواقع أننا فى حاجة اللآن الى الاستفادة من مثل هذه القواعد فى المدن الجامعية أو المساكن الداخلية ببعض المدارس ، والتى لايلتزم ساكنوها من الطلبة بالضوابط الخلقية التى تكفل الهدوء والراحة للجميع ، وفوضى الدخول والخروج منها واليها ، وضعف الرقابة واللامبالاة أحيانا ، وكذلك الحال بالنسبة للخدمات المكتبية ، والخدمات الصحية والوقائية والعلاجية .

** أشارت الدراسة – أيضا – الى النهضة التعليمية التى شهدها المجتمع المصرى فى ذلك العصر ، كان ورائها ماتمتع به طلاب العلم فى ذلك العصر من خدمات عديدة شملت الاقامة والتغذية والصحه وغيرها ، ولذلك فتطوير النظام التعليمي والاهتمام به ، لابد أن يتم فى ضوء هذا الفهم بمعنى أنه لايكن أن تتم عملية التطوير هذه دون تقديم أنواع مختلفة من الخدمات لرعاية الطلاب فى مراحل تعليمهم ، خاصة أن عدم كفاية الخدمات الطلابية يمثل جانبا من سلبيات التعليم فى مجتمعنا .

** مثل الجهد الأهلى "الأوقاف" الجزء الأكبر من تمويل الخدمات الطلابية فى ذلك العصر ، وكان الدافع الدينى أحد الدوافـــع الهامة وراء هذا العمل ، كما من مصادر تمويلها ، الأمر الذى يدعونا الى العمل على تشجيع الجهد من مصادر الأهلى لتوفير الخدمات الطلابية ، وذلك من خلال تشجيع الجمعيات الأهلية للعمل فى هذا المجال ، وتوعية أفراد المجتمع بأهمية تعاونهم لتقديم هذه الخدمات .

** شكل الدور الاجتماعى والاصلاحى الذى قام به علماء ومفكرى هذا العصر ، فى الدفاع عن حقوق الشعب ومصالح الوطن – خاصة فى اوقات الحروب الصليبية وحروب المغول – دورا هاما فى تمتع العلماء والفقهاء بمكانة مرموقة ومتميزة لدى الحكام وأفراد الشعب ، هذه المكانة جعلت الحكام والأمراء بل وأفراد الشعب خاصة الأغنياء يغدقون عليهم وعلى طلابهم الأموال والهبات لتمكينهم من أداء دورهم فى تعليمهم لعلم وتعلمه ، الأمر الذى يؤكد السبيل نحو زيادة اهتمام المتمع بالعلم وطلابه هو حسن قيام العلماء بدورهم الاصلاحى فى المجتمع فى الوقت الحالى .

مراجع الدراسة وهوامشها

* يمثل عصر الولاة والطولونيين والإخشيديين الحلقة الأولى ، وتمثل الدولة الفاطمية الحلقة الثانية من تاريخ مصر فى العصور الوسطى الإسلامية .

١ – سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك فى كتاب : تاريخ مصر الإسلامية ، تحرير عبد العظيم رمضان – الهيئة المصرية العامة للـــكتاب – القاهر – ١٩٩٣ . ص ٣٤٥ -٣٤٨.

٢- المرجع الـسابق : ص٣٤٨.

٣- المرجع الـسابق : ص٣٤٩.

٤- المرجع الـسابق : ص.٣٥٠.

* لمزيد من التفاصيل عن هذه العوامل يمكن الرجوع الى :

– محمد كمال عز الدين : الحركة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجراكسة – عالم الكتب – بيروت – ١٩٩٠ – ص ١٥ – ٢٦ .

– محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٨٠ ص ٢٣٣ – ٢٦٠ .

– سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك – دار النهضة العربية – القاهر – ١٩٦٢ . ص ١٤١ – ١٤٢ .

– محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الإسلامية الكـــبرى – المغرب – ١٩٥٣ . ص ٩١-٩٢ .

٥- فوزى يوسف سليمان : الخدمات الاجتماعية لطلاب الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة وكل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية " دراسة مقارنة – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية – جامعة عين شمس – ١٩٧٠ .

Al - Haider K.A.A. : , Saudy of Qualtiy personnel svices at king Fasel University Saudia Arabia, Unpublished dissertation Michigan state 1986 .

John , R.A. : Analysis of student service structure of the college Education and Allied professions of Toledo , Unpublished Dissertation ,University of Toledo 1980 .

8- Kanghun,s. : Student personnel services in the teachers colleges of North eastern Thailand, Unpublished Dissertation, Southren illinois University 1980 .

٩ – محمد ابراهيم طه خليل : دراسة للرعاية الطلابية بجامعة طنطا ودورها فى تحقيق أهداف الجامعة رسالة ماجستير غيرمنشورة – كلية التربية – جامـــعة طنطا – ١٩٨٨ .

١٠- عبد العزيز الدعيج : الخدمات التربوية التى تقدمها مدارس التعليم العام للطلبة من وجهة نظر أولياء أمورهم بدولة الكويت " دراسة - مجلة البحوث النفسية والتربوية - كلية التربية - جامعة المنوفية - السنة العاشرة - العدد الأول ١٩٩٤م .

١١- محمد منير مرسى : التعليم الجامعى المعاصر قضاياه واتجاهاته - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٧ ص ١٠٧.

* على الرغم من وصف الباحث لعصر الأيوبيين والمماليك بأنه عصر زاهر ، الا أن الأمانة والموضوعية تقتضى ضرورة الاشارة الى أن هناك بعض الآراء ترى عكس ذلك ، وتقدم العديد من المآخذ عليه من بينها :

- أن هذا العصر شهد كثيرا من المظالم ارتكبها بعض سلاطين الأيوبيين والمماليك ، واستووا فى ذلك مع سابقيهم من بعض حكام الدولة العباسية ، وهم بذلك يخلطون بين المماليك كدولة - مثلا - استقلت بحكم مصر وبين المماليك كأفراد وموظفين لدى الدولة العثمانية أثناء احتلالها مصر .

- أن الآثار العلمية والأدبية فى ذلك العصر لم تكن فى أكثر الأحيان سوى تصرف فى آثار السالفين كان تكون اختصارا لمطول أو شرحا لمختصر ، أوتعليقا على شرح ... أو غير ذلك من أنواع التصرف السطحى الذى لايمس جوهر الموضوع .

- أن الأوقاف - التى تعد من مفاخر العصر - كانت وسيلة وملجأ يلجأ اليه السلاطين والأمراء عند الضرورة وضماناً لذريتهم من بعدهم ، ولم تكن فقط بدافع تشجيع العلم والعلماء ، وحبهم واقبالهم الشديد على بناء المدارس ، حيث كانوا يجعلون فيها شركا لولدهم بنظر عليه أو نصيب منها .

للمزيد يمكن الرجوع الى :

* سليمان اسحق عطية : مقدمة كتاب " *تحرير المقال فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الأطفال* " لابن حجر الهيتمى - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٨ . ص٥

* منير عطاالله وآخرون : *تاريخ ونظام التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة* - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٨.

* عبد الغنى محمود عبد العاطى : *التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك* ، دار المعارف القاهرة . ١٩٨٠ ص١٥٤.

١٢- سعيد عبد الفتاح عاشور : *العصر المماليكى فى مصر والشام* - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٥. ص٥ .

١٣- سعد مسفر القعيب : *الخدمة الاجتماعية المدرسية منهج وتطبيق* - دار المريخ للنشر - الرياض - ١٩٨٦. ص٢١ .

١٤- عبد الرحمن أحمد الأحمد : *الادارة والخدمات التعليمية فى التعليم العام بدولة الكويت* - الكويت - ١٩٨٦ .ص ٣٦٧ .

15- The New Encyclopedia Britannica, Volume Ix, Reference and index Helen Hemingway Benton pub., 1973 p.624

١٦- جمال على الدهشان : تكافؤ الفرص التعليمية ، المفهوم ومظاهر التطبيق فى عصور الازهار الإسلامى ، *مجلة العلوم النفسية والتربوية* - كلية التربية - جامعة المنوفية - السنة التاسعة - العدد الثالث - ١٩٩٣ . ص٣٢-٣٦.

انظر كذلك :

زينب حسن حسن : المجانية فى مصر ، هل دعمت أم خرجت ديمقراطية التعليم ؟ - *الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس* - المجلد العاشر ، تحرير سعيد اسماعيل على - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٨٥. ص١١٩ .

١٧- محمد أحمد الغنام : مسئولية التعليم فى تذويب الفوارق بين الطبقات فى مجتمعنا - صحيفة التربية - القاهرة - نوفمبر ١٩٦٢. ص١٠٩ .

١٨- أحمد شلبى : *التربية والتعليم فى الفكر الاسلامى* - الطبعة الثامنة - مكتبة النهضة العربية - القاهرة ١٩٨٧ . ص ٢٩٦ .

١٩- عبد القادر النعمانى : على هامش الأبوة الجامعية ، الخدمات التى تؤديها الجامعة للطلبة فى كتاب نظريات فى التعليم الجامعى ، تحرير تشارلزفرانك ، ترجمة محمد توفيق رمزى - دار المعرفة - القاهرة - ١٩٦٣. ص ٢٠٩

20- Astin A, : Fourcritical Years : Effects of college on Beliefs attitudes and knowledge, washington, Jossey,Bass 1978 .P.115

٢١- رجب عبد الوهاب عبد اللطيف : دراسة تحليلية لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية - *بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التربوى العربى* - المجلد الأول - رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع الجامعة العمالية بالقاهرة - ١٩٨٩.ص١٥٦-١٦٠

٢٢- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق . ص٣٠١ .

*** لمزيد من التفاصيل عن هذه الصدمة يمكن الرجوع الى :**

Carl Weinderg Education isAshuck, How the Eductional syslems is failing aut childern, william g ,company , Inc New york 1975:

٢٣- عبد المنعم شوقى دورالجامعة فى حل المشكلات الاجتماعية للطلاب ، *مجلة اتحاد الجامعات العربية* - العدد الثامن - سبتمبر ١٩٧٥ .ص١٧ - ٢١ .

٢٤- فوزى يوسف سليمان : مرجع سابق .ص٣

٢٥- روبرت م. ستروزير على هامش الأبوة الجامعية ، الخدمات التى تؤديها الجامعة للطلبة ، فى كتاب *نظريات فى التعليم الجامعى* ، مرجع سابق . ص ١٩٥ .

٢٦- سهام أبو عطية : ادراك الاخصائيين الاجتماعيين والاداريين فى الهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب للخدمة الاشرافية ، دراسات تربوية - المجلد السابع - الجزء ٤٦ سلسلة أبحاث تصدرعن رابطة التربية الحديثة بالقاهرة - ١٩٩٢ .ص ٢٦٢ .

٢٧- روبرت م. ستروزير : مرجع سابق . ص ١٩٩ .

٢٨- وزارة التربية والتعليم : مشروع مبارك القومى ، *انجازات التعليم فى ٣ أعوام* - القاهرة - اكتوبر ١٩٩٤ . ص ١٥١ .

٢٩- سعيد اسماعيل على : *معاهد التربية الاسلامية* - دارالفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٦ ص٣٨٧ .

٣٠- جامعة المنوفية ، الإدارة العامة لمركز المعلومات : *الكتاب الاحصائى السنوى لعام ١٩٩١* - ادارة الاحصاء - ١٩٩١.

٣١- السيد الباز العرينى : *الشرق الأدنى فى العصور الوسطى (١) الأيوبيون* - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٧ .ص ٥-٧ .

٣٢- المرجع السابق : ص٧ .

٣٣- على سالم النباهين : *نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر* - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨١ . ص ١٢٣ .

٣٤- سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عهد الايوبيين والمماليك - مرجع سابق . ص ٣٥١ .

٣٥- على سالم النباهين : مرجع سابق . ص١٢٦.

٣٦- سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك - مرجع سابق . ص ٤٤٩ .

٣٧- محمود رزق سليم : *عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى* - المجلد الثانى - الطبعة الثانية - مكتبة الآداب - القاهرة - ١٩٦٥. ص٢٦٣.

٣٨- على سالم النباهين : مرجع سابق . ص ١٤٢ .

٣٩- سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك - مرجع سابق . ص ٤٤٦ .

٤٠- على سالم النباهين : مرجع سابق - ص١٤١.

٤١- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : *مقدمة ابن خلدون* - طبعة دار الشعب - القاهرة - د . ت . ص ٤٠٠ .

٤٢- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر) : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة - جـ ١ ، تحقيق ابى الفضل ابراهيم - ط٢ - مكتبة الحلبى - القاهرة - ١٩٦٨. ص٩٤.

* ان ماكشف من هذا التراث ضئيل جدا ، فمازالت مكتبات العالم ومتاحفة زاخرة بالاف المخطوطات التى ترجع الى ذلك العصر ، والتى لم يستطع العلماء حتى الآن تحقيقها ونشرها ، أو حتى استيعاب كل ماجاء فيها من حقائق ومعلومات .

٤٣- عبد الرحمن زكى : من تراث مصر العلمى فى العصر المملوكى : فى كتاب *بحوث فى تاريخ الحضارة الإسلامية* ، أعدها للنشر السيد عبد العزيز سالم - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية ١٩٨٣ . ص ١٣٧.

٤٤- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مرجع سابق ، ص٤٠٠ .

٤٥- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) : *رحلة ابن بطوطة* ، دار بيروت - بيروت - ١٩٨٠ . ص٣٧ .

٤٦- القلقشندى (احمد بن عبد الله) : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء - جزء ٣- الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - د.ت . ص ٣٦٤.

٤٧- لمزيد من التفاصيل عن هذه المجالس انظر :

محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق . ص٧٩-٨٥.

٤٨- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى) : *رحلة ابن جبير* - دار صادر - بيروت - ١٩٨٨- ص١٥ .

٤٩- المرجع السابق : ص ٢٢٢٨.

٥٠- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : *السلوك لمعرفة دول الملوك* - جـ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة - الطبعة الثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٦ . ص ٢٥٨.

٥١- على سالم النباهين : مرجع سابق . ص ١٤٦-١٤٧ .

٥٢- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : مرجع سابق . ص٥٥ .

٥٣- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) : *المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى* تحقيق محمد محمد أمين ، ونبيل عبد العزيز - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٨ ص ٢٩٦.

٥٤- ابن اياس (ابو بكر محمد بن أحمد) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور - جـ٢-تحقيق محمد مصطفى ، مطابع مكتبة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٩٦٣. ص٣٢٦.

٥٥- السيد الباز العرينى : مرجع سابق .ص ٢١٨.

٥٦- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق . ٣٢٧.

٥٧- المرجع السابق : ص٧١ .

* سميت بذلك الاسم لأن الأصل فى اقامتها هو الاختصاص بتعليم الايتام .

** عرف هذا النوع من المكاتب بهذا الاسم لاقامته فى السبيل ، أو قريبا منه.

٥٨- محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق . ص٢٩ ، ٣٠ .

٥٩- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق . ص١٢٦

٦٠- المرجع السابق .ص ١٥١.

٦١- المرجع السابق : ص١٥١

٦٢- محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق . ص ٤٦.

٦٣- السيد الباز العرينى : مرجع سابق ، ص٢٢١.

٦٤- محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق ، ص٤٧.

٦٥- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مرجع سابق . ص.٤٠٠.

٦٦- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق . ص ٦١.

٦٧- محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق. ص٦٥

٦٨- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق . ٢٠٩

٦٩- محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق . ٦٥

٧٠- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق . ص. ٢١٠

٧١- ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى) : *المدخل* -ط٢ - الكتاب العربى - بيروت - ١٩٧٢ .ص . ٨٠ - ٨١ .

٧٢- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ، ص٢١٨.

٧٣- أحمد عيسى : *تاريخ البيمارستانات فى الاسلام* - ط٢ - الرائد العربى - بيروت - ١٩٨١ .ص٤ .

٧٤- على سالم النباهين : مرجع سابق ، ص ٢٧٣ .

٧٥- محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ٢٧٣.

٧٦- محمد كمال الدين عز الدين : مرجع سابق ، ص٧٤ .

٧٧- على سالم النباهين : مرجع سابق ، ص٢٧٧.

٧٨- المرجع السابق : ص ٢٧٦.

٧٩- على سالم النباهين : مرجع سابق .

٨٠- عبد الغنى محمود عبد العاطى سابق ،ص٢٣٥.

٨١- المرجع السابق ص٢٣٥.

٨٢- المرجع السابق ،ص ٢٣٧.

٨٣- دولت عبد الله عبد الكريم : *معاهد تزكية النفوس فى مصر* - القاهرة ١٩٨٠ - ص ٢٣ .

٨٤- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ،ص ٢٩٥.

٨٥- مصطفى عبد الله محمد شيحة : دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية - فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر - مرجع سابق ، ص ٥٨ .

٨٦- أحمد فكرى : *مساجد القاهرة ومدارسها جـ٢ العصر الأيوبى* - القاهرة - ١٩٦٩، ص ١١٨- ١٢١.

٨٧- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مرجع سابق .

٨٨- المقريزى (تقى الدين بن على) : كتاب *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار* المعروف بالخطط المقريزية - جـ٢ - دار صادر - بيروت - د.ت.ص ٣٧١.

٨٩- المرجع السابق ،ص ٣٧٩.

*** لمزيد من التفاصيل عن هذه القواعد يمكن الرجوع الى :**

- صلاح السيد عبده رمضان : *تطور المدارس فى العالم الإسلامى منذ نشأتها حتى الفتح العثمانى* - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية ببنها - جامعة الزقازيق - ١٩٩٠.

- ابن جماعة (بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله) : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.

- عبد الغنى محمود عبد العاطى - مرجع سابق .

٩٠- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ، ص٣٠٦ .

٩١- محمد محمد عبد القادر الخطيب : دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية - مطبعة الحسين الإسلامية - القاهرة - ١٩٩١. ص ٢٣٣.

٩٢- مجاهد توفيق الجندى : دراسات وبحوث جديدة فى تاريخ التربية الإسلامية - دار الوفاء للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٨٤.ص ٢٤٣.

٩٣- محمد محمد عبد القادر الخطيب : مرجع سابق ، .ص ٢٣٣.

٩٤- مجاهد توفيق الجندى : مرجع سابق . ص٢٤٤.

٩٥- محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٨٠- ص ٢٥٩.

٩٦- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ، ص ٢٤٨.

٩٧- المرجع السابق : ٢٤٩.

٩٨- محمد محمد أمين : مرجع سابق . ص ٢٥٥، عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ، ص٢٤٨- ٢٤٩.

٩٩- زبيدة محمد عطا : مكتبات المدارس " خزانة الكتب" فى العصر الأيوبى والمملوكى فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية - مرجع سابق ، ص٢١١.

١٠٠- زبيدة محمد عطا : مرجع ص٢١٧.

١٠١- المرجع السابق : ص٢٢٠

١٠٢- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق . ص ٢٥٣

١٠٣- زبيدة محمد عطا : مرجع سابق .ص. ٢٢٠

١٠٤- وثيقة وقف السلطان حسن رقم أوقاف .ص ٤٥٧، ٤٥٨ ، نقلا عن محمد محمد أمين - مرجع سابق .ص ١٧٥.

١٠٥- وثيقة وقف السلطان برسباى ٨٨٠. أوقاف ص ٢٠٨ ، نقلا عن محمد محمد أمين - مرجع سابق ، ص ١٧٧.

١٠٦- عبد الغنى محمود عبد العاطى : مرجع سابق ص١١٠.

١٠٧- حسن ابراهيم عبد العال : فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض - ١٩٨٥.ص ١٣٥ .

١٠٨- المرجع السابق .ص ١٣٦ .

١٠٩- حسن ابراهيم عبد العال : مرجع سابق ص ١٣٥-١٣٦.

١١٠- ابن جماعة (بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله) : مرجع سابق .ص٥٧ .

١١١- المرجع السابق : ص ٧٢.

١١٢- المرجع السابق : ص٧٣.

١١٣- المرجع السابق : ص٧٣.

١١٤- المرجع السابق : ص٢٣.

١١٥- عفاف سيد صبره : مرجع سابق . ص ١٨٨.

* انظر :

- جمال على الدهشان : مرجع سابق ، ص ٤٥.